# انفاس

## مجلــة فكريــة عربيــة مغربيــة

- تطورات الحركة الطلابية المغربية
- الصراع الطبقي في مصر من ١٩٤٥ الى ١٩٦٨
- الــتــشـــاد
- النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي
- التجديد الثقافي والتحرر الفكري
- الوضع الاجتماعي في منطقة ظفار

العدد الثاني
يونير 1971

1,50د

# انفـــاس

مجلـة فكريـة عربيـة مغـربيـة (تصدر شهريا)

العنوان : ٤ شارع باستور ٠ الرباط ٠ المغرب
ح ٠ ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ _ ٢٣٠
المسؤول عبد اللطيف اللعبى



السنة الثانية العدد الثانى يونيو ١٩٧١

مطبعة التومى : الرباط

# افتتاحية

## فى ذكرى 5 يونيو : تبعات الهزيمة

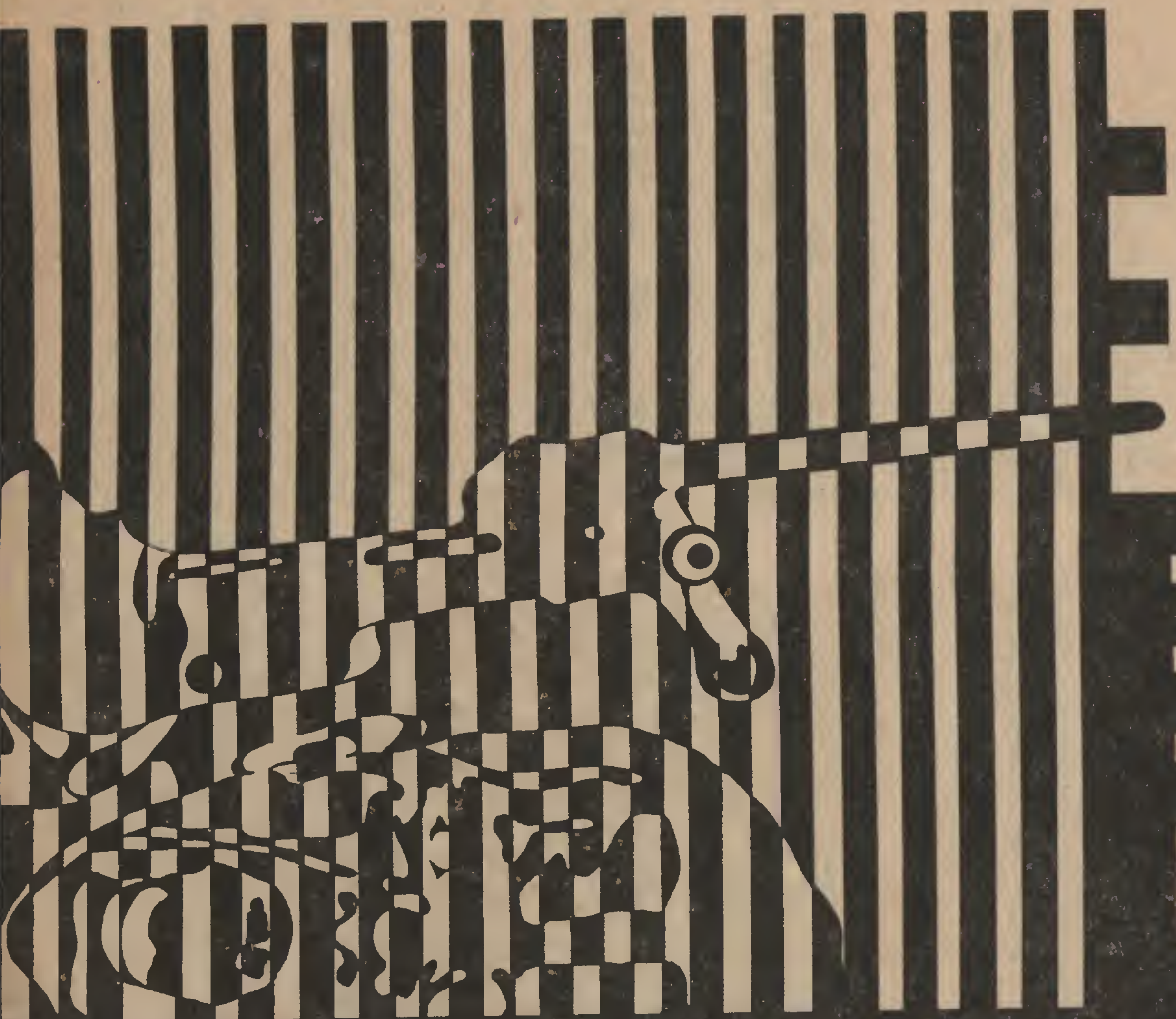
منذ أربع سنوات ، فى 5 يونيو 1967 ، كان العدوان الصهيونى الغاشم على البلاد العربية ، وهزت الهزيمة النكراء كيان كل عربي وكل متحرر في العالم ، واغضبت الفاجعة ملايين الجماهير الشعبية التى أتقنت الطبقات السائدة ابتعادها عن خط المواجهة وحصر دورها فى انتاج فائض القيمة لتمويل رفاهية البرجوازية والاقطاع ، **وهبت الجماهير فى مظاهرات جارفة تريد العصف بالاغلال والقيود ، تريد تكسير الاصنام وتنحية العجزة ، تريد السلاح للرد على العدوان الامبريالى ـ الصهيونى جذريا وكليا وحتى التحرير الشامل** (مظاهرات 9 ـ 10 يونيو فى مصر ، مظاهرات فى مجموع الوطن العربى ، تعميم الثورة المسلحة فى الخليج) .

لقد حقق العدوان الهمجى للصهيونية وثبة خارقة فى توسعها نحو بناء «اسرائيل الكبرى» بالتدمير والابادة العنصرية . هكذا بسطت جيشها الوحشى على مساحات شاسعة جديدة من الاراضى العربية تكتسى أهمية استراتيجية واقتصادية حيوية (ضفة القناة ، سيناء ، خليج العقبة ، مرتفعات الجولان ، الضفة الغربية لنهر الاردن) . وقد مارست الامبريالية الهزيمة النكراء كيان كل عربى وكل لتحرر فى العالم ، الامريكية استراتيجيتها العدوانية الى أقصى حد ، حيث دعمت اسرائيل كليا وضمنت تفوقها العسكرى الساحق ، مؤكدة بذلك من جديد أن «من هم وراء اسرائيل» يربطهم بها الف حبل من المصالح الصلبة ، وساند الاتحاد السوفيتاى موقف التراجع ووقف اطلاق النار وطريق مناقشات الامم المتحدة «لمحو آثار العدوان» .

أما الانظمة العربية وجيوشها فتقهقرت فى هزيمة فظيعة ، بعد عشرين عاما من اللفظ حول «الجهاد من أجل تحرير البقاع المقدسة من الاقدام الدنسة» ، أوالحديث الحماسى عن «المجهود الحربى» و «حشد القوى لمناطحة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل وتحرير فلسطين السليبة» . وعادت بعد فترة من الهزيمة لترفع من جديد نفس الشعارات فى منصات مؤتمرات القمة معلنة أن «لا صلح ولا تفاوض ولا سلم مع اسرائيل»

**لكن الواقع العملى هو أن الهزيمة مثلت اعلانا تاريخيا دمويا عن عجز الانظمة العربية بتركيبها الطبقى عن التحرير الفعلى لشبر من الاراضى العربية .** وخطها فى «مواجهة العدو» خلال فترة ما بعد الهزيمة خط تراجعى يؤكد ذلك بجلاء (ننشر فى هذا العدد مقالا حول «الصراع الطبقى فى مصر» هو تلخيص لكتاب أصدره المناضل المصرى محمود حسين) .

**• فقد نهجت كخط استراتيجي أساسى طريق «الحل السلمى» الذى لم يلبث أن انفضح مضمونه**



ملصقة عبد الله الحريرى

4

**الحقيقى : الاعتراف بالوجود الصهيونى وبالتالى محو مهمة تحرير فلسطين من جدول الاعمال ، المساومة حتى فى شأن الاراضى المحتلة «الاخرى» .**

وكان منطلق الاتجاه قبول الانظمة العربية (أو رفضها اللفظى) لقرار لجلس الامن رقم 242 (الصادر فى 22 نوفبر 1967) ثم لمشروع روجرز اللذين يقضيان **«بتصفية آثار العدوان وتصفية القضية الفلسطينية معا»** . وعلى أساس هذا القبول ذهب أهل الهزيمة مع يارينغ – مبعوث الاستسلام – فى جولة مفاوضات «غير مباشرة» دامت سنوات وعرقل نجاحها السريع تعنت اسرائيل فيما يخص شروط الانسحاب وليس رفض أهل الهزيمة التفاوض لفظيا . هكذا تدحرج موقف « لا تفاوض » الى ممارسة التفاوض ، وصاحب ذلك **تدحرج موقف «تحرير كل شبر من الاراضى» الى المبادرة باقتراح الانسحاب بضعة أشبار** (الاقتراح المصرى الاخير بفتح قناة السويس مقابل تراجع جيش الاحتلال الصهيونى بضع خطوات الى الوراء) .

وقد صار غير بعيد أن يصل أهل الهزيمة فى جولتهم الدبلماسية الى مستنقع الاستسلام التام والتخلى عن جزء هام من الاراضى المحتلة وربما ايضا ترك مجال الملاحة حرا للسفن الصهيونية فى القناة ، وما الانقلاب الاخير فى مصر الا تعبير عن استكمال تهيىء شروط الاستسلام العلنى بتصفية الجناح الذى ما يزال يعتقد بامكانية التحرير العسكرى للاراضى المحتلة وبضرورة سد الباب أمام المصالح الامريكية . لكن ، اطبعا ، ضمن نفس المعطيات الطبقية القائمة (سيطرة برجوازية الدولة) . وفى هذا المجال وقع تدحرج شعار «توطيد الجبهة الداخلية» بمعنى صيانة وحدة الطبقة الحاكمة الى ممارسة التصفية ضد الجناح الغير القابل للاستسلام المكشوف (نعنى بالجناح الاطر القاعدية للاتحاد الاشتراكى وليس عناصر القمة المتنوعة دواعى خلافاتهم) . ونفس التطور وقع فى سوريا بضعود حافظ الاسد .

◆ على الصعيد العسكرى تبنت الانظمة العربية شعار «حشد الطاقات» و «اعادة بناء القوات المسلحة» فى انتظار «المعركة الفاصلة والحاسمة» . بمعنى انها احتفظت بنفس استراتيجية الحرب الكلاسيكية بواسطة الجيوش النظامية ، أى بنفس الشروط التى أعطت الهزيمة . **لكن خط «المواجهة العسكرية» صار دفاعيا أيضا ، وصار جزءا مكملا لخط التفاوض والحل السلمى وليس العكس** . ذلك أن التوازن الدولى بنى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي يجعل هذا الاخير يحصر دعمه لانظمة الهزيمة فى حدود دفاعية بحتة بينما تقوم الولايات المتحدة بتوفير التفوق المطلق عسكريا لاسرائيل . **ثم ان الانظمة العربية هى أساسا معادية طبقيا لبرنامج التفوق النوعى على العدو باستراتيجية الحرب الشعبية الطويلة المدى على الطريقة الفيتنامية** . ولذا تدهور موقف «لا سلم مع اسرائيل» الى مجرد حرب استنزاف يراد منها الضغط على اسرائيل كى تنقص من طفيليتها فيما يخص شروط الهدنة . وبعد فشل هذه الحرب الهزيلة ذاتها (بفعل هجومات اسرائيل بالطيران فى أعماق الاراضى المصرية) **تدحرج الموقف الى مستوى قبول وقف اطلاق النار ثم الى قبول تمديده الفعلى الدائم .**

◆ **وعلى صعيد الثورة الفلسطينية تجلى تخاذل الانظمة البرجوازية بشكل مقيت** ، لقد هللت بها لاول وهلة بهدف ازالة مسؤولية التحرير عن نفسها أمام الجماهير ، وبهدف الضغط على اسرائيل . ولكنها بذات الوقت لم تدخر كيدا فى محاولة فرض وصايتها السياسية والمادية على المقاومة كى تستطيع خنقها فى الوقت المناسب بواسطة شبكة دويلة مصطنعة أو

بواسطة التطويق المدفعي ، هكذا تدحرج موقف مساندة المقاومة الفلسطينية الى موقف الصمت التام والتزكية العملية للمذابح الشنيعة التي نظمتها الرجعية الاردنية و « من هم وراءها ووراء اسرائيل » ضد الفدائيين . **وهكذا تحول هدف تحرير فلسطين كاملة الى مجرد الاعتراف ببعض «الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني» ثم الى ترك الشعب الفلسطيني وشأنه في المذبحة .**

• **ان الهزيمة اثبتت عجز أنظمة برجوازية الدولة عن التقدم خطوة فى تحقيق مطامح الجماهير العربية فى التحرير الشامل من الصهيونية والامبريالية والتقدم نحو الاشتراكية وفى تحقيق الوحدة العربية . ذلك أن** تلك الانظمة تضع مصالحها الاستغلالية وتطلعها للرفاهية الانانية فوق متطلبات التحرير الوطنى . ولم تصل الطبقات المعنية التى صعدت للسلطة على أساس تلك الشعارات الا الى التراجع عن بعض المكتسبات فيها (تجميد الصراع مع الانظمة العربية المتعاملة مع الامبريالية بل وحتى مع الصهيونية ، السير بسرعة الى التبرجز والبذخ ، قمع الجماهير الشعبية ، تحويل شعار الوحدة الى ممارسات موسمية متعثرة) . والوحدة الاخيرة بين مصر وسوريا وليبيا ، ليست استثناء فى خط التراجع . ذلك انها فوق طبيعتها الطبقية ، وطابعها التاكتيكى تجاه الجماهير قصد استبدال الفشل الفعلى فى مهمة التحرير بنجاح سطحى فى «مهمة التوحيد» ، وكونها تاكتيكية أيضا قصد دفع العدو الى النقص من حجم شروطه ، فوق ذلك هى وحدة وقتية قد تنفجر فى حالة تطبيق الحل السلمى (بحكم التناقضات بين برجوازيات شاخت وأخرى صاعدة ، والتناقض بين مؤمنين بالحرب بعيدين عن «الجبهة» ومؤمنين بالاستسلام قريبين منها) .

**والقاسم المشترك بين الطبقات السائدة على صعيد العالم العربى هو السير نحو الاستسلام المفضوح ، مع تركيز كل الجهود على ارساء دكتاتوريتهاضدالجماهير الشعبية .** هكذا تقمع كل حركة جماهيرية وتقمع كل مناضل تقدمى وتحيك المؤامرات الخبيثة ضد كل حركة ثورية (ذبح المقاومة ، اعتقال وتعذيب المناضلين التقدميين ، استفزاز وتطويق ثورة ظفار) .

• ان مسألة البديل الثورى تطرح نفسها. **وقد «مثلت الثورة الفلسطينية النقطة المضيئة الوحيدة على خارطة الوطن العربى» ، غداة حرب يونيو . ولم تلبث ثورة الخليج العربي المحتل أن فرضت نفسها كنموذج للطريق الجذرى الذى يتطلبه التحرير** .(ننشر فى هذا العدد وثيقة حول الوضع الاجتماعى فى ظفار صادرة عن الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل) .

وقد كانت «حملات التطويق والابادة» التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية على يد العملاء تعبيرا مرا عن مدى ارتباط مصير الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وخاصة فى المنطقة المجاورة لاسرائيل ، بمعنى **أن تحرير فلسطين مهمة موازية لتقدم الثورة فى البلاد العربية بقيادة طبقة جذرية : العمال والفلاحين الفقراء، قادرة على ضمان الاستقلال التام عن الامبريالية وبناء جبهة طبقية اقتصادية وعسكرية مجندة لصالح هدف التحرير والوحدة .**

ان تصاعد النضال الجماهيرى ضد المصالح الامبريالية والاستغلال الطبقى والقمع وضد الاستسلام والحلول التصفوية لهو الطريق الفعلى لمناطحة العدو وعملائه جذريا .

**ولتكن ذكرى هزيمة يونيو النكراء ، مناسبة جديدة لاستخلاص الدروس ، واستجماع النفس الثورى لمواجهة المهام النضالية المطروحة تجاه استئصال مواقع قوى الاستعمار الصهيونى والاضطهاد الامبريالى واستئصال الجذور الطبقية للخيانة والهزائم.**

**انفاس**

# قضايـــا وطنيـــة

## تطـــورات الحركـــة الطلابيـــة المغربيـــة

احمد ابو المجد

شكلت الحركة الطلابية المغربية ، منذ بذور نشأتها كحركة ، والى الآن ، رافدا هاما من روافـد الحركة الوطنية والتقدمية ببلادنا ٠ وكانت مختلف المراحل التي تمر بها الحركة الوطنية والتقدمية وكل التحركات التي تقوم بها الجماهير الشعبية تحدث أصداء وانعكاسات على الحركة الطلابية ، بالاضافة الى التحركات التي يقوم بها الطلاب من أجل مشاكلهم « الخاصة » (ان صح التعبير) هذه المشاكل الجامعية والتعليمية التي ترتبط ، في نهاية التحليل ، بالتطور السياسي والوضعية الحالية للبلاد ٠

فلقد ساهمت الحركة الطلابية المغربية في المعركة من أجل الاستقلال، بواسطة تنظيماتها اذاك (جمعية الطالب المغربي ، جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا ٠٠٠) والتي كانت موجودة بالخارج نظرا لعدم وجود جامعة بالمعنى الصحيح بالمغرب ، وساهمت في مختلف معارك ما بعد « الاستقلال » : من مظاهرات التأييد للثورة الجزائرية،الى حركةالاحتجاج ضد قمع المناضلين التقدميين سنة ١٩٦٣ ، الى حركة مارس ١٩٦٥ ، الى مظاهرات التنديد بالعدوان الصهيوني الامبريالي سنة ١٩٦٧ ، الى الاضرابات والتظاهرات التي عرفتها السنوات الاخيرة ٠

وهكذا يتجلى أن الحركة الطلابية المغربية ، شأنها في ذلك شأن الحركات الطلابية في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث ، تشكل قطاعا جماهيريا نشيطا وزاخرا بالطاقات ، قطاعا متقدما (ولا نقول طليعيا) مما جعل أنظار المنظمات والاحزاب السياسية من جهة ، والحكم من جهة ثانية ، تتجه اليها وتهتم بها ، اما للسيطرة عليها واعطائها توجيها « مرضيا » من ناحية ، أو لقمعها وتشتيتها وصدها عن أهدافها من ناحية أخرى ٠

وهذا المقال لا يرمي الى سرد مفصل لتاريخ الحركة الطلابية ، ولا الى تحليل دقيق لمختلف الظروف الذاتية والموضوعية التي تؤثر عليها وتعطيها الملامح المعقدة والمتناقضة التي تظهر بها من خلال حياتها اليومية ٠ فمع اقتناعنا بضرورة هذين المنهجين (وهذا ما يمكن القيام به في مقالات لاحقة) سنكتفي باعطاء خلاصات عامة تتركز بالاساس على المرحلة الحالية التي وصلت اليها هذه الحركة ٠

**الظروف الذاتية الموضوعية للحركة الطلابية المغربية :**

هنالك عوامل عدة تجعل الحركة الطلابية في مستوى النشاط والحيوية الذين أشرنا اليهما آنفا ، نجملها فيما يلي :

● الحركة الطلابية حركة شباب مثقف ، متفتح بحكم وضعيته على تيارات ثقافية وايديولوجية وسياسية عديدة ، ومتأثر بآخر تطوراتها ، كما يتوفر الى حد كبير على المفاهيم والنظريات التي تمكنه من فهم الوضعية التي تجتازها بلاده وتقييمها وتصور امكانيات تغييرها ٠مما يخلق جوا من الوعي والحاجة الى النشاط السياسي ٠

● والمجتمع الطلابي مجتمع جد متمركز ، في مناطقه السكنية ومطاعمه ، بل وحتى في أماكن الترفيه والتسلية ، مما يسهل امكانيات الاتصال والنقاش وتعميق الافكار داخل صفوفه ، ومما يسهل، على الخصوص ، امكانيات تنظيمه ٠

وهنالك عاملان آخران يضافان الى سابقيهما :

● الاول أن الطالب ، كاطار في طور التكوين ، يشعر - وخصوصا في البلاد التي تسيطر فيها الامبريالية والرجعية الحليفة على الثروات والطاقات الوطنية - بتناقض حاد بين تطلعاته ومطامحه الشخصية والسياسية والوضعية التي سيواجهها قريبا ٠ حيث سيكون محكوما عليه بان يصبح دولبا من دواليب جهاز لاحق له في توجيهه ، وبان يحني الرأس أمام الاطر الاعلى ، المحلية أو الاجنبية ، الساهرة على مصالح لا تلتقي في الغالب مع مصالحه ٠

● والعامل الثاني ، وهو عامل مميز للحركة الطلابية المغربية ، خصوصا في السنوات الخمس الاخيرة ، هو وجود أغلبية من الطلاب من أصل اجتماعي متوسط أو فقير ، نتيجة لوصول عدد من عناصر الافواج الاولى للاستقلال المقبولة خلال سنوات التعميم الديماغوجي والمرتجل للتعليم ٠

هؤلاء الافراد الذين استطاعوا الوصول الى الجامعة ، وبأعداد مرتفعة نسبيا ، رغم الحواجز الكثيرة التي اعترضتهم ، والذين يشكلون السواد الاعظم لطلبة المدرسة العليا للاساتذة وغالبية طلاب القطاع التقني ٠

● هذا بالاضافة الى الازمة الخانقة التي يعيشها التعليم ببلادنا ، والتي تستأثر الجامعة بنصيب هام منها ، كما يجعلها تتأثر وتتجاوب مع تحركات القطاعات « المجاورة » (الثانوي)٠

كل هذه العوامل تجعل من المجتمع الطلابي قطاعا يسوده وعي ، أو على الاقل اهتمام سياسي مرتفع ، وتقاليد تنظيمية ونضالية مترسخة ٠ ولهذا أيضا شكلت الحركة الطلابية جناحا متقدما داخل الحركة السياسية والنقابية المغربية ، مرتبط ، على العموم ، باكثر الاتجاهات جذرية ، في مختلف مراحل التطور السياسي التي عرفتها بلادنا فيما بعد الاستقلال ٠

ولهذه العوامل أيضا سلبياتها الناتجة عن كون

أفراد المجتمع الطلابي وأفواجه لا تعيش فيه الا مرحلة انتقالية ، والميل ، نظرا للوضعية الخاصة التي يعيشها هذا المجتمع ، الى تبني نظريات وتحليلات ، مطبوعة بالذاتية وعدم الفهم لوضعية القطاعات الجماهيرية الاخرى . مما يفسر عددا من التأرجحات والممارسات الانتهازية لقيادات الحركة الطلابية ، ومن ورائها الجماهير .

مع هذا تبقى الحركة الطلابية ، خصوصا اذا ما توفرت لها القيادة والخطة الصحيحة ، حركة لها ما تسهم به في حركة التحرر وتغيير الهياكل .

## التطورات السياسية للحركة الطلابية المغربية :

يمكن أن نستخلص من كل ما تقدم أن الحديث عن الحركة الطلابية لا يمكنه أن يستكمل كل عناصره الا اذا كان مرتبطا بالحديث عن علاقاتها بالقوى السياسية في البلاد والتطورات التي عرفتها :

أسس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة ١٩٥٦ ، ومنذ تلك الفترة عرف تطورات سياسية هامة عكست تطورات الحركة الوطنية والتقدمية فيما بعد الاستقلال . فقد كانت المنظمة الى سنة ١٩٥٩ متأثرة باتجاه حزب الاستقلال السائد في تلك الفترة ، رغم وجود عناصر من الاجنحة اليسارية لهذا الحزب ، وعناصر من الحزب الشيوعي المغربي ، كانت تشارك أحيانا ، وبنسبة ضئيلة في الاجهزة القيادية ، دون برنامج ومرتكزات جماهيرية .

وفيما عدا بعض المواقف المعزولة والانتقادات الخجولة (انتقاد الجيش أثناء مؤتمر أزرو وما سببه من مضاعفات) ، فقد كان الاتجاه السائد هو اتجاه الحركة الوطنية اذاك : التحالف والمهادنة للاقطاعية والمساهمة في « بناء الاستقلال » عن طريق المساهمة في الوزارات دون برنامج واضح ودون تعبئة جماهيرية .

وهكذا كانت السمة الغالبة على المنظمة هي الطابع الثقافي والترفيهي الذي غلب عليها وقد ساهمت وضعية المجتمع الطلابي اذاك في هذه الوضعية ، حيث كان عدد الطلاب المغاربة ضئيلا ، أغلبهم في الخارج (فجامعة محمد الخامس لم تؤسس الا سنة ١٩٥٨).

وهكذا كان من الطبيعي أن ينعكس الانقسام الذي حدث في صفوف حزب الاستقلال سنة ١٩٥٩ على الحركة الطلابية ، التي تبنت الاتجاه السياسي للتنظيم الجديد الذي تقوده البورجوازية الصغرى (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية).

وانتقلت الحركة الطلابية ومنظمتها الى وضع جديد :

فبعد ظهور الاعراض الاولى لفشل سياسة التفاوض واقتسام المقاعد الوزارية بمعزل عن الجماهير، انتقلت الحركة الطلابية ، بعد فترة قصيرة من « مساندة السياسة الرشيدة للحكومة » (حكومة عبد الله ابراهيم) الى فترة تتسم بحدة النضالات وعمق المطالب ، على العموم ، مع بعض التأرجحات وفترات الركود .

وقد أثرت على الحركة الطلابية في مختلف خطوات هذه المرحلة الجديدة عوامل جديدة ، أهمها :

- النمو التدريجي للمجتمع الطلابي وما أحدثه من تعقيد وتكثير للمشاكل .

● تصاعد الازمة العامة للبلاد ومضاعفاتها على القطاعات الجماهيرية ، خصوصا فيما يتعلق بمشكل التعليم ·

● الحملات القمعية التي تعرضت لها المنظمات التقدمية ·

وكان من الطبيعي أن يحدث هذا التحول ، منذ بدايته ، ردود فعل سواء من طرف البورجوازية الوطنية ، الذي وقع على حسابها ، أو من طرف الحكم ·

فقد حاولت البورجوازية الوطنية مواجهة الانقسام الذي وقع في صفوف حزبها ، والذي شكل في وقته خطوة الى الامام لتجاوزبرنامجها،والذيعزلها عن الحركة الطلابية ، بانقسام يحاول اعادة التاريخ الى الوراء · وهكذا ، فبعد انقسام اليسار عن حزب الاستقلال ، انقسم يمين هذا الحزب عن المنظمة الطلابية في محاولة يائسة لفرض نفوذه داخل الحركة الطلابية ، أو على الاقل تمزيقها واضعافها كحركة تقدمية ، على غرار ما فعل داخل الحركة النقابية · وبقيت خطة البورجوازية الوطنية نفس الخطة رغم فشلها ، وحتى بعد الالتقاء الاخير مع الجناح البورجوازي الصغير ·



أما ردود فعل الحكم فانها ، مع وحدة هدفها الاستراتيجي ـ خنق الحركة الطلابية ـ اتسمت بتنوع التكتيك · فمن القمع المباشر (محاكمة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة ١٩٦٣ ، الهجوم على الحي الجامعي سنة ١٩٦٦ ، حملات التجنيد الواسعة لمناضلي ومسؤولي المنظمة)، الى الحوار المباشر مع قيادات المنظمة الطلابية واستدراجها الى التراجعات والخيانات (التي شكل المؤتمر العاشر وافران ١٩٧٠ أبرز مثالاتها) ، الى محاولات البلبلة والتقسيم ···

لقد تحولت الحركة الطلابية ، وفي وقت جد مبكر ، الى حركة جماهيرية ، مطلبية وسياسية ، وأصبح الاتجاه السائد فيها · ثم المسيطر عليها ، هو اتجاه حزب البورجوازية الصغرى المنفصل عن حزب البورجوازية الوطنية · ولا تزال هذه السيطرة الى الآن · لكن هذا لا يعني كون الحركة الطلابية سارت في خط واحد مستقيم ـ فطبيعة الاتجاه السائد المذكور هي التذبذب والتأرجح ـ ولا أن النضالات التي خاضتها ، مع طول نفسها وامكانيات صمودها ، كانت تأتي بنتائج في مستوى هذا الصمود وتلك الامكانيات· وهذا ما ينم عن وجود أزمة داخل الحركة الطلابية ، اتضحت معالمها في السنوات الخمس الاخيرة على الخصوص ، سنحاول التطرق الى أهم نقطها ·

## أزمة الحركة الطلابية المغربية :

أزمة الحركة الطلابية المغربية أزمة اتجاه وخط، تظهر اعراضها في الشعارات التي ترفع والخطة المتبعة لتحقيقها والوسائل التثقيفية والتنظيمية التي تعتمد عليها ·

● لقد كانت خطة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب رغم ما يجيء في البلاغات وما يصدر عن المؤتمرات ـ تتسم بالقيام بسلسلة من ردود الفعل ازاء سلسلة من المشاكل التي تفرضها عليها الظروف ، وأحيانا بصفة مفاجئة ، بحيث أصبحت نضالات الحركة الطلابية نضالات دفاعية ترمي الى

عدم زيادة تردى وضعية الجامعة والحفاظ على المكاسب القليلة المحققة ، أكثر من تنميتها وتطويرها ٠

وهكذا فعوض النضال من أجل تجاوز الازمة ، كانت النضالات تكتفي بمواجهة الاعراض المتوالية للازمة ٠ كما أن زمام المبادرة يبقى خارج ارادة الحركة ٠ وكان لهذه الخطة تأثيرها على نتائج النضالات التي كانت تنتهي الى حُلول جزئية تشكل في الغالب خطوات الى الوراء ٠

ولنأخذ على سبيل المثل مشكل المدرسة العليا للاساتذة : فرغم البرامج اللفظية والكتابية للحركة الطلابية ومنظمتها ، حيث يطرح مشكل اصلاح هياكل المدرسة وتوضيح الدور المنوط بها واعتبارها كأداة أساسية لتكوين الاطر التعليمية ، فان النضالات التي خاضتها الحركة الطلابية ، بكل الطاقات الهائلة المتوفرة لدى جماهير هذه المدرسة ، كانت تأتي أساسا كرد فعل ضد ظهور بعض المضاعفات التي تسببها أزمة هذه المدرسة : كمشكل السنة الاحتياطية أو طرد أو توقيف عدد من الطلاب لهذا السبب أو ذاك ، وبما أن المشاكل المذكورة كانت هي السبب الاساسي لانطلاق مختلف الحركات النضالية ، فان هذه الحركات كانت تتجه أساسا للتركيز على حلها ، بينما يبقى المشكل الاساسي مطروحا ليخلق مشاكل أخرى ٠

وهكذا جاء قرار افران ١٩٧٠ بحل المشاكل الجزئية للافواج الموجودة حاليا بالمدرسة واقفالها في وجه الافواج القادمة ــ مع الدور الذي لعبته بعض الاتجاهات وبعض الشخصيات ــ كنتيجة طبيعية لهذا المسلسل ٠

وهكذا كانت الخطة السائدة خطة دفاعية انتظارية تضيع فيها جهود الجماهير الطلابية وطاقاتها من أجل نتائج أدنى بكثير من مستوى الجهود والطاقات ٠

ولهذه الخطة مضاعفاتها الايديولوجية والتنظيمية :

● ففي الميدان الايديولوجي كان الاتجاه هو اتجاه العفوية والانعزالية ، حيث يعتبر التثقيف الايديولوجي نوعا من الترف ٠ ويقتصر هذا النشاط على تسطير المشاكل النقابية في بلاغات واستعمال الشعارات « والامجاد » السياسية أساسا كبضاعة للاستهلاك والدعاية الانتخابية ، مع تلافي كل نقاش سياسي وايديولوجي جماهيري ومنظم ٠

11 وبمقابل هذا الاتجاه كان هنالك اتجاه آخر يعطي للنشاط التثقيفي والايديولوجي والسياسي نوعا من الاهمية ، وساهم بنصيب له أهميته في هذا النشاط لكن هذا الاتجاه نظرا لمواقفه وممارساته كان يستعمل هذا النشاط كوسيلة لتبرير مواقفه وتغطية تراجعاته ٠ مروجا بذلك مفاهيم محرفة ونظريات مشوهة ٠

وهكذا عجز هذان الاتجاهان عن تزويد الحركة الطلابية بالبرنامج والمفاهيم السياسية والاديولوجية التي تمكنها من فهم دورها والاضطلاع به كحركة جماهيرية تقدمية وجذرية ٠

ويكفي أن نأخذ كمثال على ذلك مهام النضال الثقافي للحركة الطلابية : فالجامعة المغربية تشكل احدى المرافق الاساسية للتغلغل الثقافي الامبريالي ولترويج الثقافة الاقطاعية ، سواء من حيث نظام أو محتوى الدراسة بها أو علاقاتها مع البعثات والاطر

الثقافية الامبريالية أو الاقطاعية ·

ان كل عمل من أجل مواجهة هذا المد الثقافي الامبريالي الرجعي لابد أن تسهم فيه الحركة الطلابية بنصيبها الوافر ·

فماذا تم انجازه عمليا في هذا الميدان غير التصريحات والتنديدات ؟ اللهم الا اذا استثنينا المحاولة الجنينية للجامعة « الموازية » التي رافقت حركة يناير ـ فبراير ١٩٧١ واجهضت باجهاضها ·

● أما في الميدان التنظيمي فتجدر الاشارة الى أن تنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب تطورت بموازاة تطور الحركة الطلابية ونضالاتها · فمن التنظيم على صعيد الفروع ، الذي ساد في السنوات الاولى من تاريخ المنظمة حيث كان المجتمع الطلابي جد متقلص ، الى تنظيم التعاضديات على صعيد الكليات ، الذى فرضه نمو هذا المجتمع وتعدد الطلاب والمشاكل في مختلف الكليات · لكن الجماهير الطلابية، في مراحل عرفت تفاقم المشاكل وتصاعد النضالات ، سواء في سنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٦ أو في ١٩٧٠و١٩٧١، ابتكرت صيغا للتنظيم أكثر مرونة وذات امكانيات هامة في التحرك وتأطير العناصر الديناميكية · وبينت التجارب أن هذه التنظيمات ، وان لم تكن « رسمية » وان لم توضع لها الفصول والفقرات (اذا ما استثنينا الاشارات العابرة)، كانت تقوم بدور المحرك الاساسي ، بل والوحيد أحيانا ، في ظروف تصاعد النضال · بينما تقوم « التنظيمات القيادية » بمجرد استعادتها لزمام الامور باعادة المياه الى مجاريها ، أو بالاحرى الى مستنقعات الركود والانتظارية ·

وهكذا اتسم تنظيم الحركة الطلابية غالبا بطابع جامد وبيروقراطي · فالقرارات تتخذ من أعلى لتنزل على الجماهير أو تفرض عليها بشتى الاشكال · والتجمعات العامة التي تقدم كصيغة ديمقراطية للتنظيم أصبحت ، مع تكاثر عدد الطلاب واختلاف مستويات الوعي والتنظيم من كلية لاخرى ، مجرد اطار عائم يمكن من مباركة قرارات الهيئات القيادية مهما كانت قيمتها ·

ولعل أبرز مثال على ذلك هو الطريقة التي استطاعت اللجنة التنفيذية أن تجهض بها اضرابات يناير ـ فبراير ١٩٧١ بقرار فوقي رغم انعقاد تجمع عام « على الصعيد الجامعي » ، لكون أن هذا التجمع لم يستطع اتخاذ قرار حاسم ·

ان أزمة الخط العام للحركة الطلابية المغربية ، التي حاولنا القاء الاضواء على مختلف مظاهرها، تعكس ، في نهاية التحليل ، أزمة الخط العام للاتجاهات السياسية التي تسود داخلها · هذا الخط المتسم بالانتظارية وعدم القدرة ، أو الاحجام عن اطلاق مبادرات وطاقات الجماهير ، والسقوط في مستنقع الاصلاحية ، خوفا من المواجهة الحاسمة لجذور الازمة والمسؤولين عنها والمستفيدين منها · وهكذا ، فهذه الخطة التي فشلت في مواجهة الازمة العامة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد ، لم يكن من شأنها الا أن تعرف نفس الفشل في مواجهة احدى مظاهر هذه الازمة ، أزمة التعليم والجامعة ·

## أزمة الجامعة المغربية ومهام الحركة الطلابية :

لا حاجة بنا في هذا المقال الى تحليل دقيق لازمة الجامعة المغربية الا أنه بات من الواضح أن هذه الازمة مرتبطة أساسا بالمأزق الذي وصلت اليه السياسة المتبعة حاليا في ميدان تكوين الاطر ·

هذه السياسة ترمي الى جعل التعليم في جميع مراحله ، وخصوصا في المرحلة الجامعية ، تعليما نخبويا يروج ثقافة نخبوية أساسها المفاهيم والمناهج الاساسية للايديولوجية البورجوازية الغربية ، ايديولوجية الامبريالية والاستعمار الجديد · فأزمة الجامعة اذا أزمة هيكلية لا يمكن تصور أي حل جذري لها في اطار منعزل وبواسطة حلول جزئية · وبالتالي، فالنضال من أجل الخروج من الازمة لا يمكن أن يكون ناجعا الا اذا اتجه الى مواجهة عمق المشاكل ، أي طرح المشاكل الهيكلية والنضال من أجل حلها ، عوض الاكتفاء بردود فعل محدودة ازاء الاعراض والمضاعفات التي تحدثها هذه الازمة على صعيد الحياة اليومية للجامعة أو لبعض قطاعاتها ، هذه الاعراض والمضاعفات التي لا تكاد تنمحي حتى تظهر في محلها أعراض أخرى ناجمة عن نفس العلة ···

الا ان مواجهة المشاكل الهيكلية لا يتأتى الا بتوفر عدة شروط أساسية سواء داخل الحركة الطلابية أو في صفوف الحركة التقدمية على العموم ·

ففيما يخص الحركة الطلابية نفسها يقتضي ذلك تغيير خطة العمل ·

فاذا كان النضال ضد الاعراض والمضاعفات اليومية لمشاكل التعليم يدفع حتما بالحركة الطلابية الى نوع من الانتظارية تتخللها ردود فعل مفروضة ازاء أوضاع مفاجئة وتجعل بالتالي زمام المبادرة يفلت من أيديها وهذا ما يفسر كون الحركة الطلابية اضطرت للدخول في كثير من النضالات دون تهيء جدي ودون برنامج مدقق ، فان طرح المشاكل الهيكلية يعني الانتقال الى خطة جديدة أساسها التجنيد الدائم والاخذ بزمام المبادرة في المعارك ، بحيث تكون نقطة الانطلاق في أية حركة استعدادات الجماهير الطلابية، ودرجة استيعابها للمشاكل وتحليلها للظروف المحيطة·

واذا كانت خطة رد الفعل ضد المشاكل الطارئة تدفع بطبيعتها الى عدم تفهم دور التثقيف والتوعية السياسية والاديولوجية ، فان الخطة الاخرى تحتم تقوية هذا النشاط وتعميقه ووضع برنامج واضح لانجازه ، كعنصر أساسي لضمان قوة الحركة الطلابية وجماهيرية تحركاتها وتحصينها ضد الانحرافات والانتكاسات ·

وهذه الشروط تسوقنا حتما الى طرح المشكل التنظيمي :

فسياسة رد الفعل تعني عدم تجنيد الجماهير الواسعة وتركيز وسائل توجيهها بين أيدي مجموعة قليلة من العناصر التي تشكل « الاجهزة القيادية » للحركة ولمنظمتها ، أما مواجهة المشاكل الهيكلية وأخذ زمام المبادرة في طرحها فيتطلب تبني صيغ تنظيمية أكثر جماهيرية وأكثر ديمقراطية وأكثر فعالية، تمكن من الاستفادة من طاقات وتجارب أوسع الجماهير الطلابية ، صيغا تتجاوز واقع التأرجح بين القرارات

البيروقراطية الفوقية « للاجهزة القيادية » والجو المائع والفلكوري أحيانا لبعض التجمعات العامة ٠

ولقد اثبتت التجربة الطويلة للحركة الطلابية أن خطة الدفاع ورد الفعل المطبقة منذ عدة سنوات لم تمكن الطلاب من تنمية مكاسبهم ومن تحقيق خطوات الى الامام على طريق اصلاح الجامعة ، بل جعلتهم دوما مضطرين لاستنفاذ طاقاتهم النضالية في الدفاع عن المكاسب القديمة ، بل وأحيانا لفقدان الكثير منها (كاقفال معهد السوسيولوجيا و م٠ع٠ أ مثلا)٠

يتبين على اثر هذا أن مشكل الجامعة لا يكمن في تغيير شكل الامتحان لهذه المادة أو تلك ، أو تغيير هذا التدبير الاداري الجزئي بهذه الكلية أو ذاك المعهد ، بل هو مشكل محو الطابع الطبقي الذي يتسم به التعليم الجامعي والمحتوي الامبريالي - الرجعي للثقافة الجامعية والتسيير والتوجيه اللاديمقراطي لهياكلها وأجهزتها ٠

وهذه مشاكل وطنية في عمقها لا يمكن للحركة الطلابية وحدها أن تفرض حلها ٠

وبالتالي فان على الحركة الطلابية من جهة ، والاطراف الاخرى للحركة التقدمية أن تطرح الصيغ العملية الحاسمة لدمج نضالات الجماهير الطلابية بنضالات القطاعات الجماهيرية الاخرى ، عوض ما فعلته قياداتها الى الآن من انعزالها عن هذه وتسلطها على تلك ٠ ولا شك أن هذا مرتبط بالخروج من الازمة الذاتية للحركة التقدمية ، هذه الازمة التي أدت اليها الخطط والممارسات التي سادت داخلها الى الآن ٠



هذه في نظرنا هي الاسس التي ينبغي أن تقوم عليها حركة طلابية تقدمية مغربية تساهم بجدية في معركة التحرر الوطني الاقتصادي والثقافيوالسياسي، وهذه هي الاسس التي افتقدتها الحركة الطلابية المغربية الى الآن ٠

## خلاصة : بوادر تجاوز الازمة :

هل تتوفر الظروف حاليا لتحقيق هذه الاسس **وتجاوز هذه الازمة ؟**

ان تصاعد الطاقات النضالية للجماهير الكادحة في بلادنا ، رغم عفويتها والنتائج الضئيلة التي حققتها نظرا لانعدام الخط والقيادة التقدميين الصحيحين ، مضافة الى التجارب المرة للحركة الطلابية ، كجزء من الحركة الجماهيرية ، نتيجة لنفس الخط ونفس القيادة ، قد بلورت داخل جماهير الطلاب ارادة لتجاوز الازمة والخروج من مأزق الانتظارية والتراجع ، عبرت عنها الجماهير الطلابية في السنوات الثلاث الاخيرة على الخصوص في أكثر من مناسبة ٠

ومع أن الممارسات الانتهازية والانتظارية والتيارات الممثلة لها لا زالت تجد معاقل تحتمي بها داخل القطاع الطلابي ، وفي قطاعات أخرى منظمة ، فان المد الجماهيري الذي ظهر أخيرا ولا زال يرتفع ، مبشرا بدفع الحركة الطلابية والمنظمة المجسدة لها - الاتحاد الوطني لطلبة المغرب - خطوة الى الامام في النهج التقدمي والخطة التحررية المعادية للامبريالية التي أسهم الطلاب المغاربة عن طريق اتحادهم الوطني بنصيب تبقى حصيلته ، رغم السلبيات ، جد ايجابية وتسجل بمداد الفخر في التاريخ النضالي لجماهير شعبنا ٠

# قضايا عربية

## الصراع الطبقي في مصر من سنة 1945 الي سنة 1968 - لمحمود حسين

صدر هذا المقال بقلم عبد الكريم الظفري في مجلة « أنفاس » بالفرنسية ـ عدد ١٨ (فاتح ماي ١٩٧٠)

وقد ارتأينا ترجمة هذا المقال ونشره بالعربية نظرا لاهمية الكتاب الذي يتناوله بالعرض ، خصوصا وأن الكتاب غير موجود بالعربية ولا زال قيد الترجمة في الشرق · ونحن آسفون لاضطرارنا الى نشر المقال في حلقتين ·

**علي الحمراوي**



غداة الحرب العالمية الثانية ، كانت الطبقة العاملة المصرية مؤهلة موضوعيا للنهوض بدورها الطليعي نظرا لقوتها العددية المرتفعة نسبيا ، بالقياس الى حجم بقية الطبقات الكادحة ، ونظرا لعراقة تقاليدها في النضال السياسي آنذاك · ففي نفس الحقبة التاريخية استطاعت البرولتاريا الصينية رغم ضالتها العددية توحيد نضال جميع طبقات الشعب الصيني والاستيلاء على السلطة المركزية · -

لم تكن هناك اذن سنة ١٩٥٠ أية ضرورة موضوعية لفرض الطريق الرأسمالي على مصر ، بل على العكس كانت جميع التناقضات الموضوعية تستدعي حلا ابرولتاريا لازمة الطريق الراسمالي ·

وما كان النظام الناصري ليفرض نفسه في خضم تناقضات المجتمع المصري الا بفعل ظرف خاص · وقد جسد النظام الناصري الحل البرجوازي الوحيد لازمة التحول الاقتصادي والسياسي أمام حركة الجماهير المتصاعدة ·

ان هذه الخلاصة التي يتوصل اليها محمود حسين من سياق تحليل ضافي وجدي للتركيب الطبقي بعد الحرب العالمية الثانية في مصر ، لتدعونا للعودة الى طرح مسألة البنيات الفوقية الايديولوجية والسياسية للمجتمع (وهي مسألة ذات مدى عام) قصد تعميق صيرورة ازمة التحول من الاقطاعية الى الرأسمالية ·

---

١ صدر هذا الكتاب في دار ماسبرو للنشر ـ باريس ـ اواخر عام ١٩٦٩ ·

اذا كان كبار الملاكين العقاريين يشكلون سنة ١٩٤٥ الركيزة الاساسية للطبقة الحاكمة في مصر ، فان العلاقات السائدة لم تكن مع ذلك علاقات رأسمالية محضة . فالسيطرة الامبريالية من جهة ومصالح طبقة كبار الملاكين من جهة ثانية كانت تحول دون تطور قوى الانتاج باتجاه تكريس اسلوب الانتاج الرأسمالي وكانت بالتالي تطمس امكانية دمج الجماهير الواسعة المحرومة في حلبة الاستغلال الرأسمالي على نحو متصاعد .

ان عدم انبثاق برجوازية متوسطة مصرية جعل البلاد تتخصص في الزراعة الموجهة للتصدير ، وحال دون توسع الميكانيك في الانتاج . وقد ساعد هذا على استمرار بنيات فوقية ايديولجية وسياسية من نوع شبه رأسمالية ،



وضمنت تلك البنيات الفوقية بدورها استمرار الهيمنة البريطانية وامتيازات الطبقات المستفيدة من فتاة مصالح الامبريالية . ذلك أن المصالح الامبريالية بالذات هي التي حددت اطار النشاطات الاقتصادية الذي لم يبق للبرجوازية المصرية الا أن تدور داخله . وبعبارة أخرى لم يكن تراكم الثروات في هذا الاطار يلعب دور التراكم الرأسمالي البدائي : فهو دون اعطاء اية استثمارات منتجة ، ظل يخدم استمرار امتيازات كبار الملاكين العقاريين بما في ذلك الخمول ونفقات الابهة ونمط العيش الارسطقراطي الخ ...

وفوق ذلك فان الشرط الحيوي لتغيير صيرورة الانتاج نفسها ، أي الفصل التام بين العمل ومجموع وسائل العمل أو بين العمل ووسائله في الانتاج ، ظل منعدما ، ذلك أن العمال في ذلك العهد ظلوا غالبا يستعملون أدوات فردية في أراضي كبار الملاكين رغم تدهور العلاقات الاقطاعية المحضة .

لم يكن هناك تكريس لعلاقة ثابتة بين من يملكون الرأسمال ومن يبيعون قوة العمل ، فلم يكن هناك الا ملاكون كبار في طريق التحول الرأسمالي من جهة ، وجماهير عريضة محرومة في طريق التحول الى بروليتاريا من جهة ثانية .

ونجد نفس هذا الطمس لصيرورة تطور الرأسمال على مستوى فئة « رجال الاعمال » أيضا . فالبرجوازية الكبرى ، مصرية كانت أم «متمصرة» ، لم تكن تحتل الا مواقع مالية مكملة للشبكة المالية الاوروبية . ومن أجل صيانة ارباحها الضخمة والسريعة ، اضطرت هذه البرجوازية الى الانغماس في ممارسة السمسرة والنشاطات الغير المنتجة كالابناك والتصدير والاستيراد وشركات التأمين ومقاولات البناء ... وحافزها في ذلك هو عجزها عن التصدي لمتطلبات السيطرة الاجنبية وكذا نشأتها على أسس احتكارية حددتها كبريات الشركات الاجنبية وجعلتها تماوجات السوق العالمية ضعيفة الاستقرار .

أما البرجوازية المتوسطة فغير مائلة بتاتا للتجديد ، وذلك لان أصلها أساسا فلاحي ، وهي مفتقرة للروح الرأسمالية وفكر « الاعمال » . ولذا ظلت متضامنة مع الهياكل الطبقية القائمة خصوصا وأنها تتكون من أغلبية فلاحين اغنياء متشبثين باشكال الانتاج العتيقة وانها ضعيفة التواجد في المراكز الحضرية . ومع ذلك لم تنعدم التناقضات بين

اكثر فئات البرجوازية المتوسطة تفتحا من جهة وبين المصالح الاجنبية والمحلية المسيطرة على اقتصاد البلاد من جهة ثانية . وبما أنه لم تكن بيد هذه الفئات تلك الاجهزة المالية والسياسية التي تتمتع بها الطبقة السائدة ، فان هذه الفئات صارت بالتالي ترفض الاكتفاء بالمقاعد الجانبية وتطمح الى التغييرات الادارية والسياسية الضرورية للدفع باقتصاد البلاد الى النمو بديناميكية اكبر .

« هكذا صارت هذه الفئات بدافع من مصالحها تعيد النظر في نظام تشله أكثر فأكثر ارتباطاته بالامبريالية البريطانية وركيزتها المحلية طبقة كبار الملاكين المحافظين اقتصاديا ، تلك الارتباطات التي كان زمامها خارج متناول البرجوازية المتوسطة كلية .

وفي مواجهة تلك المصالح الامبريالية والمحلية صارت البرجوازية المتوسطة ترغب في اصلاحات سياسية واقتصادية وادارية للنظام القائم ، انطلاقا من اصلاح زراعي يحد من سطوة طبقة كبار الملاكين ويؤدي الى توسيع السوق الداخلية .

« ومع ذلك لابد من شرط حيوي وحاسم وهو أن تطرأ هذه الاصلاحات خارج أية مبادرة من جانب الجماهير المحرومة ، أي بطريقة استبدادية تضمن في نفس الوقت كبت حركة الجماهير وتطبيق الاصلاحات الجديدة بحيث لا تؤدي التدابير الموجهة ضد ملكية طبقات كبار الملاكين الى التشجيع السياسي او التقوية الايديولوجية لروح الثورة عند الجماهير الشعبية .

« وبالمقارنة مع الطبقات السالفة الذكر ، المنسجمة نسبيا ، فان البرجوازية الصغيرة المصرية تتوفر على انسجام أضعف وتعيش وضعية تمزق بين التأثير الايديولجي المتناقض من جانب الطبقات الاستغلالية ومن جانب الطبقات المعرضة للاستغلال المباشر .

ويرى محمود حسين أن البرجوازية الصغيرة تتكون من كل الذين « يملكون رأسمال صغير أو قطعة ارض صغيرة او تكونا مهنيا مختصا ومستوى ثقافيا معينا، يسمح لهم بكسب عيشهم من مجهود عملهم ومن ثمرة وسيلة عملهم المالية او التقنية أو الثقافية ، دون ان يحتاجوا الى بيع قوة عملهم للغير ودون شراء قوة عمل الغير ، اللهم بشكل ثانوي ».

« وبصفتها طبقة تتمتع ببعض الامتيازات بالنسبة للطبقات المحرومة ، فبوسعها أن تطمح الى استغلال آخرين (اي أنها تحمل بذور ميولاترأسمالية) وبصفتها طبقة نشيطة تعيش من مردو دعملها ، ولان عملها هذا فردي شديد التشتت وخاضع للضغط الدائم من جانب الطبقات السائدة ، ولانها عاجزة عن الدفاع عن نفسها أمام سطوة تلك الطبقات ، فان البرجوازية الصغيرة تتقرب من الطبقات المحرومة ».

أما عن التمايزات داخل هذه الطبقة ، فهناك أولا خط اختلاف بين البرجوازية الصغرى القروية العائمة في جو ايديولجي ضعيف القابلية للتغيير من جهة ، والبرجوازية الصغرى الحضرية التي تتمتع بامكانيات اوسع للصعود الاجتماعي والتفتح الرأسمالي ،

وهناك ثانيا خط اختلاف بين الفئات التي تمارس العمل اليدوي كالفلاحين المتوسطين من جهة والفئات التي تمارس العمل الثقافي كاهل المهن

الليبرالية والتقنيين وحتى الموظفين والمستخدمين من جهة ثانية ·

وهذه الظواهر المتناقضة تلتقي ديناميكيا لتجعل من البرجوازية الصغرى مصدر تخوف وعدم اطمئنان بالنسبة للطبقات السائدة ·

ويختلف الامر بالنسبة لنخبة البرجوازية الصغرى · ذلك أن هذه الفئة تأتي لها أن تحتل مواقع دقيقة بفعل اختصاصاتها وبفضل التكوين الطبقي الذي تلقته خلال خدمتها في قلب أجهزة الاستغلال والقمع (كالضباط مثلا)· وهذه المواقع تجعل تلك الفئة النخبوية مؤهلة ايديولجيا وتقنيا لترتفع بنفسها الى مراكز القيادة ولتندمج مع الطبقة الرأسمالية ، لو تم تكسير عوائق التحول · وفي آخر التحليل نجد أن تلك الرغبة الجامحة في الصعود الاجتماعي هي التي تجعل النخبة المعنية شديدة العداء تجاه كل ما يضيق آفاقها ، من نفوذ اجنبي وأرسطقراطية عقارية وموظفين سامين · لكن طموحات الصعود تعطي بالضرورة الميل لمعاداة الجماهير ، وتفضيل اجراء كل التغييرات دون أن تتأتى للجماهير الشعبية امكانية الاستفادة منها فوق ما تحدد النخبة ·

أما الطلبة فمسألتهم خاصة اذ لا يحتلون موقعا محددا وثابتا في الهيكل الاجتماعي واذ يكادون يحتكرون النشاط الثقافي وسط الطبقات الشعبية ·

## البرلتاريا والجماهير الشبه ابرلتارية

عذاة الحرب العالمية الكبرى لم تكن البرلتاريا الصناعية تمثل الا نسبة ٣٪ من مجموع السكان و ١٠٪ من السكان الحضريين في مصر · غير أن البرلتاريا المصرية كانت تتوفر على تقاليد غنية في النضال ضد الامبريالية وضد الرأسمالية · فقد مارست منذ سنة ١٩٢٤ اسلوب نضال جذري وغير معروف من ذي قبل وهو أسلوب احتلال المصانع (كما وقع في طوراح والاسكندرية وزكازيك)··_ ان احتكاك البرلتاريا بوسائل الانتاج الميكانيكية، وما ينتج عنه من طلاق تام مع الملكية الخصوصية لوسائل الانتاج ، يجعل منها عدوة لكل أشكال الاستغلال ويجعلها قادرة أيضا على تجاوز الفردية التي تلقنها الثقافة السائدة · ولذا تعطي البرلتاريا الاولوية لمصالح الجماعة على مصلحة الفرد ، وتتحلى بروح التضامن الفعال وتعرف كيف تستوعب تجربة الغير ·

أما الجماهير الشبه ابرلتارية فلم تتحرر جذريا من شبكة القيم الاقطاعية ، وخاصة في البادية · وتعبر وضعية هذه الطبقات في القطب الذي تحتله في المجتمع عن نفس ما تعبر عنه وضعية الطبقات المالكة في القطب الآخر : اذ في كلتا الحالتين وضعية تحول مكبوت ، كما يصور ذلك محمود حسين بحذق كبير ·

ورغم أن الطبقات الشبه ابرلتارية تحمل طاقات ثورية جارفة ، فانها لم تصل بعد حد القطيعة النهائية في جميع أشكال الاستغلال الرأسمالي · « بل هي على العكس قابلة لمثل هذا الاستغلال · ونظام التبعية والتحول المكبوت هو الذي احالها على التشرد ، وليست هي التي نازعته في الاصل »·

وتكمن نقطة الضعف الاساسية عند هذه الجماهير الشبه ابرلتاريا في عدم قابليتها للتنظيم · ذلك أن

شكل عيش هذه الطبقات ذاته هو الذي يجعلها متشتتة وموزعة الى افراد ، وجماعات عائلية وعشائر وغيرها ، (كما هو حال الفلاحين الصغار ، والعمال الزراعيين ، والعمال بدون مهنة وخدم العائلات ، والبائعين المتجولين ، أي ما يمثل الاغلبية المطلقة من السكان في البادية كما في المدينة)٠

ورغم أن حركة الانتفاضات التي سجلتها هذه الطبقات سنة ١٩٥٢ اتسمت بالعنف الشديد والتهديم، فانها ظلت محكوما عليها بالفشل نظرا لحدودها كالانعزال ، والتفاوت الزمني ٠ وقد أتاح ذلك للطبقات الحاكمة فرصة خنق تلك الانتفاضات بالقمع والديماغوجية معا ، دون أن تحظي بحركة تضامنية على الصعيد الوطني ٠

والواقع أن هذه الجماهير لا يسعها أن تغدو خطرا جذريا على الطبقات السائدة ، الا بقدر ما تعرف كيف تلتقي مع الحركة العمالية الصناعية وتدعمها ٠

## الافلاس السياسي للطبقة السائدة

انهكت الحرب العالمية قوى الامبريالية الفرنسية والبريطانية وتفاقمت أزمة الرأسمالية العالمية من جراء تقلص السوق العالمية وبفعل تصاعد المدالثوري لشعوب المستعمرات ٠ ولم تلبث هذه الظواهر ان صارت لها تاثيرات هامة على العالم العربي ٠

وفي مصر ، بدأت تنمو بسرعة وجنبا الى جنب مع الحركة الوطنية المناهضة للنفوذ الامبريالي ، حركة ديمقراطية معادية للطبقات المحلية السائدة التي اتخذت تبعيتها للامبريالية شكل الخيانة العظمى للوطن بكل وضوح ابان حرب فلسطين الاولى ٠

وازاء تصاعد الحركة الجماهيرية ، انفضح عجز الطبقات الحاكمة عن ايجاد مخرج من الازمة ٠ وبذات الوقت صارت هذه الطبقات تنقسم الى عدد من التيارات بفعل افتقارها الى التنظيم وغياب أحزاب سياسية خاصة بها وقادرة على وضع رؤية سياسية منسجمة ٠ ومن بين تلك التيارات :

- الاتجاه الارسطقراطي المقرب من البلاط ٠

- الاتجاه الوطني الذي يطالب بتوسيع مجالات الاقتصاد و ب « تمصير » مرافق الدولة ، (ويعكس حزب الوفد هذا الاتجاه تقريبا ٠

- الاتجاه التجديدي (العصري) وهو أكثر من الاتجاهين السابقين نشاطا ، فبينما يراوغ الاتجاه الثاني بهدف الاستفادة من الحركة الوطنيةواستغلالها يعلن الاتجاه الاخير علانية معاداته للوطنية والديمقراطية ويرفض أن يقبل ادنى مساس بامتيازاته وبارتباطاته مع الاحتكارات الامبريالية ، وان كان على استعداد للتضحية ببعض من مصالح كبار الملاكين العقاريين ٠ كما يرفض هذا الاتجاه تصور التنمية الصناعية الا ضمن التبعية الكاملة للامبريالية على الصعيد السياسي والتقني والمالي ٠

اما حزب الوفد فقد امحنه ان يتحلى زمنا بلقب « حزب الامة » بينما لم يكن في الواقع الا حلقة من شبكة الاعدادات الموجهة لتضليل الحركة الثورية عن الطريق الصحيح ٠ وعندما صعد الوفد الى السلطة تبدد الغموض الذي كان ينشره التفكك السياسي ٠ ذلك أن الوفد لم يلبث أن انفضح عجزه عن التنازل لاتخاذ ادنى التدابير التي كانت الوضعية السياسية

القائمة تستدعيها (جلاء الانجليز ، الاصلاح الزراعي، اعادة النظر في امتيازات الارسطقراطية)، تلك التدابير التي كانت وحدها كفيلة بطمأنة الجماهير • وفي غمار الازمة التي صار سجينا لها وعجل بانفجارها ، سقط الوفد بعد حين مع الارسطقراطية في الداهية تحت الضربات الاولى للحركة الجماهيرية •

وفي القطب الآخر من المجتمع المصرى ، افتقرت الطبقات الكادحة من جهتها الى البنيات السياسية والتنظيمية الكفيلة بتمثيلها عن حق ، والقادرة على الارتفاع بمدها الثوي واعطائه كل الابعاد التي كانت تخولها الوضعية السياسية •

## تصاعد الحركة الجماهيرية

تميزت الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٤٧ بالتقاء الحركة العمالية بالحركة الطلابية :

ففي سنة ١٩٤٦ بلغت اوجها المظاهرات الجماهيرية والاضرابات المصحوبة باحتلال المصانع وكذا الاشكال الفردية المباشرة للعنف كالعمليات الارهابية • ولا شك ان اهم حدث سياسي عرفته هذه المرحلة الاولى هو تاسيس اللجنة الوطنية للعمال والطلبة في شهر فبراير ١٩٤٦ اى بعد ايام قلائل من قيام الشرطة بفتح قنطرة عباس في الوقت الذي بدأت فيها مظاهرة طلابية تطالب بالجلاء ، خلف الحادث كثيرا من الضحايا وفي ٢١ فبراير نظمت اللجنة مظاهرة كبرى ودعت الى الاضراب العام • وانفجر حنق الطبقة الحاكمة • فآلت مظاهرة القاهرة الى مجزرة شنيعة استقبل فيها الجنود البريطانيون المتظاهرين بالرشاشات في ساحة الاسماعيلية ، وعمت البلاد موجة عارمة من القمع اذ صار الاعتقال يشمل آلاف المناضلين العمال والطلاب ، وتعرضت اللجنة الوطنية للتقويض • ومنذئذ دخلت مظاهرة القاهرة في الحركة العالمية المعادية للامبريالية التي صارت منذ سنة ١٩٥٠ تحيي ذكراها في ٢١ فبراير من كل سنة •

وبعد فترة ظلت فيها الحركة الوطنية فاقدة الاتجاه من جراء القمع ، بدأت تحاول تنظيم نفسها من جديد، عندما اندلعت حرب فلسطين الاولى واضعة في يد القصر والانجليز فرصة لتمسك بزمام المبادرة من جديد •

في هذه المرحلة من التحليل تشتد صرامة الكاتب (والدواعي واضحة)••

لقد كانت دولة اسرائيل وما تزال عدوا حقيقيا للشعب المصري والشعوب العربية عامة • وعلى عكس ما يدعي البعض ، فان الامبريالية والملك فاروق لم يكونا في حاجة الى « اختلاق » عدو آخر (اسرائيل) لتحويل سخط الشعب عليهما الى اتجاه آخر • حقا أن الامبريالية البريطانية عملت على توجيه كل طاقات الشعوب العربية ضد دولة اسرائيل، في محاولة لتضليل الحركة الجماهيرية التي كانت تسدد سهامها الرئيسية الى العدو الانجليزي ، حقا ان الملك فاروق وجدها فرصة ثمينة لركوب قيادة الحركة الوطنية في محاولة لاستعادة نفوذه المنهار ، ومع ذلك فان دولة اسرائيل كانت عدوا فعليا وحقيقيا، وهكذا كان يراها الشعب المصري •

لكن توجيه الغضب الشعبي في مصب حرب كلاسيكية بين دول ، وبالتالي محو الشعب الفلسطيني ومحو الشعوب العربية الاخرى في آن معا ، كان يهدف منه الامبرياليون والملك فاروق الى دفع الشعب

المصري لحرب ليست حربه الخاصة ، بل ، وهذا أدهى في حرب تخنق كفاحه الخاص : الكفاح الشعبي ضد الامبريالية البريطانية والتضامن النضالي في القواعد بين الشعب المصري والشعب الفلسطيني ·

وقد كانت لهزيمة الجيش المصري المرتقبة ثلاث نتائج هامة :

١ ـ لم يكن بوسع الجماهير المصرية أن تستقصي بالملموس الاسباب الطبقية للهزيمة ، وهذا الذي اوحى لها باحساس داخلي بالضعف الذاتي · وكان هذا عنصرا حاسما في تكريس السيطرة الاجنبية والرجعية ·

٢ ـ توفرت الظروف المواتية لتبلور قوة نخبة برجوازية في قلب الجيش الذي وضعته الحرب في الواجهة الامامية · ويتعلق الامر « بالضباط الاحرار » الذين تلتقي نظرتهم السياسية مع مطامح العصريين أو التجديديين كما سنرى »·

٣ ـ وفي المدى القصير ، ادت الهزيمة الى توحيد كل قوى الحركة الوطنية للجماهير ضد الاعداء الداخليين الذين اعتبرتهم مسؤولين عن الهزيمة · ففي هذه الفترة بدأت جماعات حرب العصابات تنظم نفسها ، وصارت المصالح البريطانية تتعرض للنسف· كما شهدت هذه الفترة اضرابات عمالية وانتفاضات فلاحية · وأخيرا كان حريق القاهرة الذي يعتبره محمود حسين حدثا شديد الاهمية :

ـ لانه اولا يعبر بعنفه عن الحاجة الموضوعية عند الجماهير الحضرية المحرومة **للمشاركة مباشرة** في الحركة الوطنية في الوقت الذي تجاوزت جميع الاطر التقليدية لتلك الحركة من وفديين ووطنيين وشيوعيين ·

ـ لانه ثانيا ، وبغض النظر عن السخطر المفرط والحتمي على كل ما هو اجنبي ، كان رميا الى الجحيم بالمراقص وقاعات السينما الفخمة ، والمتاجر الكبرى والابناك التي كان يملكها جميعا اما البريطانيون واما يهود يختالون علانية بالنصر الصهيوني ، واما أصحاب الملايير المحليون ، وقد كان الحريق اذن ضربة جماهيرية خالصة ضد اعداء الشعب ·

وكان للطابع الانتفاضي لحريق القاهرة وللتصاعد الدائم لحركة الجماهير خلال هذه الفترة نتيجة غير منتظرة : لقد صارت بريطانيا بعد يأسها من امكانية استمرار النظام الملكي مستعدة أكثر فاكثر لقبول انقلاب عسكري قادر على ايقاف موجات الحركة الجماهيرية واكساب جهاز الدولة فعالية جديدة ·



## النظام الجديد

تظافرت كل هذه العوامل وساعدت « الضباط الاحرار » على انجاز انقلاب ٢٣ يوليوز ١٩٥٢ · وهؤلاء الضباط الذين اظهروا أنفسهم أمام الشعب وكأنهم « رجال ملائكيون » كانوا يحملون رؤية سياسية يمكن تلخيصها في انهم يرغبون في حل ازمة نمط الانتاج القائم واطلاق قدميه ، معتمدين في ذلك على التضحية بجزء ضئيل من الطبقة السائدة ( القسم الاكثر رجعية) ، وكذا على الاتجاه التجديدي في البرجوازية الوثيقة الارتباط بالرساميل الاجنبية ·

واعتقد « الضباط الاحرار » ان تحقيق مشاريعهم يتطلب أربعة شروط :

ـ توطيد الجيش في جهاز الدولة ، باعتباره ركيزة النظام الجديد ·

- جلاء الجيش البريطاني وكسب بطولة التحرير والتجديد أمام الرأي العام الشعبي ·

- اجراء اصلاح زراعي يضمن ذبح الجناح المحافظ من الطبقة الحاكمة ويضمن دعم الفلاحين الاغنياء للسلطة الجديدة ·

- وأخيرا تشجيع الاستثمارات الصناعية ، محلية كانت أم أجنبية ·

والواقع أن هذا التفكير يجد جذوره في الوضعية الطبقية للبرجوازية الصغرى العسكرية وما تفرزه من أوهام طبقية ، واهم الاوهام هذه « تلك التي تعتقد بامكانية التوصل الى الدفع بالطبقة السائدة لتتجاوز ازمتها وتسير بحزم في الطريق الرأسمالي ، وتعتقد بامكانية دفع الامبريالية الغربية (الامريكية خاصة) الى المساهمة في تصنيع مصر وحل أزمة الرأسمالية» ·

لكن هذه الاوهام لم تلبث أن أفسحت المجال عبر الممارسة لرؤية سياسية برجوازية أكثر انسجاما، بقدر ما صارت مصالح برجوازية الدولة النامية تحور الوعي السياسي للضباط الاحرار حسب حاجياتها ·

ولم يحظ النظام الجديد بالمساندة من جانب أية طبقة كادحة حيث أن وجهه القمعي الذي اسقط عنه النقاب عندما اعدم البطل العمالي مصطفى خامس ، سار في انفضاح متزايد ·

أما المرحلة الثانية من حياة النظام (١٩٥٥ - ١٩٥٨) فقد امتازت بالتحول النوعي الذي طرأ على الوضعية العالمية بفعل العوامل الآتية :

- ولوج الاتحاد السوفياتي السوق الرأسمالية ومنحه دعما ضخما للنمو الرأسمالي للنخبات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الوطنيتين في البلدان التابعة للامبريالية الغربية ·

- الازمة المتفجرة التي قامت سنة ١٩٥٦ بين النظام المصري الجديد من جهة ، والامبرياليتين الانجليزية والفرنسية من جهة ثانية ، على أثر العدوان الثلاثي على مصر · فقد استفاد النظام الناصري من الدعم الشعبي الذي حظي به في هذه الازمة فعمل على تقوية احتكاره السياسي داخليا وعلى توسيع مجال المناورخارجيا، كماحصل على درجة من الاستقلال الذاتي على الصعيد الاقتصادي يمكن معها نمو برجوازية الدولة·

اما المرحلة الثالثة (١٩٥٩ - ١٩٦٢) فكانت مرحلة انبعاث نسبي للبرجوازية التقليدية التي حاولت أن تفرض على النظام ايقاف المشاريع التصنيعية ، بدعم من الدول الغربية ·

وكان جواب النظام أن اتخذ تدابير تتيح صعود نخبة برجوازية صغيرة مهمتها انجاز صيرورة التراكم الرأسمالي الموسع بخطي سريعة · وهذا أيضا وهم طبقي ·

وفي المرحلة الرابعة (١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٧) صارت البرجوازية الجديدة التي استكملت سيطرتها على وسائل الانتاج تتخبط في التناقضات الناتجة عن عن وضعيتها الجديدة · فبعد التوجعات التي تطلبها تنفيس الطريق الرأسمالي ، دخل هذا الاخير في مرحلة جديدة من أزمته · وقد تجلى عجز النظام الناصري عن الاحتفاظ هذه المرة بميزته الخاصة المتمثلة في استقلاله الذاتي الواسع عن الطبقة السائدة ·

لنعد الى النظرية « الناصرية » حيث ترتكز على عدد من الغيبيات منها :

١) ان البرجوازية التقليدية تشكل وحدها الطبقة السائدة ومن تم صار العمل على اضعافها تدريجيا يدخل في نطاق مد مناهض للرأسمالية ٠

٢) ليس لجهاز الدولة أية طبيعة أو مهمة طبقية، اذ هو ، في رأي الناصرية ، لا يعدو ان يكون وسيلة محايدة لممارسة الحكم والادارة والقمع والانتاج وغير ذلك ٠٠٠ اي انه في النهاية جهاز يضمن التوازن ! وقد أكد محمود حسين على هذه الافكار المغلوطة وعمل خلال صفحات على توضيح الطابع التضليلي لهذه الافتراءات ٠

ورأى المؤلف مؤداه انه في حالة مصر ، حيث يمارس جهاز الدولة مهاما اقتصادية ضخمة ، تعتبر البرجوازية التي تنشأ في مراكز جهاز الدولة جزءا من الطبقة الحاكمة ، ليس بحكم ارتباطاتها التاريخية والعضوية مع ذوي الملكية الخصوصية لوسائل الانتاج ، وانما بحكم الدور الحيوي الذي تقوم به في خدمة اسلوب الانتاج الرأسمالي ٠

هنا اذن ، وكما هو الحال عموما ، تكمن « المهمة الاساسية لجهاز الدولة في ضمان استقرار التركيب الاجتماعي الخاضع للطبقات المستغلة (بكسر الغين) مع الظهور أمام الطبقات المضطهدة بمظهر من يمثل مصالحها هي أيضا »٠

ولهذا السبب بالضبط ظلت برجوازية الدولة رغم تكامل هيكلها وتفشي انتهازيتها « تظهر على انها انحراف لم يكن الحكم يرغب فيه ولن يلبث الحكم أن يضربه بمجرد ما يستطيع ذلك ٠ هكذا بقيت الجماهير تفصل بين الحكم وبرجوازية الدولة الناشئة٠

وعلى هذا النمو تمكن الحكم أساسا من حماية برجوازية الدولة من الوعي الطبقي للجماهير الشعبية »٠

لقد جرت هذه التحولات النوعية تدريجيا كما رأينا وسنرى بتتبعنا تحليل الكاتب ٠

لكي تبلغ تلك التحولات النوعية نضجها الكامل، لابد من توفر شرط اساسي وهو نظام القمع الشامل لكل مبادرة حرة من جانب الجماهير ٠ ولا يتعلق الامر بالقمع العنيف وحده لان الاهم هو المزج بلباقة بين القمع والخداع ٠

وقد استفاد النظام الناصري بصفة خاصة في هذا المضمار من وضعية عالمية مكنته من تبني لهجة معادية للامبريالية ٠ وانطلق دعاه النظام على الصعيد الداخلي يعممون المفاهيم البرجوازية خاصة منها مفهوم الامة « كوحدة اساسية لا تتجزأ » ، ويلوحون بالشعارات من نوع « لا لدكتاتورية طبقة على الاخريات » « و من أجل محو التمايز بين الطبقات » الخ ٠٠٠

وفي ميدان تطويق وتوجيه الضغط الجماهيري، غالبا ما تبدلت الاشكال التنظيمية التي يقترحها الحكم ٠ والذي لا يجوز نسيانه هو ذلكم المبدأ التعاوني « الذي يحشد العامل اليدوي الغير المتخصص ورئيسه في المشغل معا ، ويخلط الفلاح الفقير بالفلاح الغني ، والمستخدم البسيط بمديره ، الخ ٠٠٠»٠ ويقوم هذا المبدأ على فكرة اساسية وهي تقسيم المجتمع عموديا حسب النشاط المهني ، سعيا وراء الحيلولة دون توحيد الشعب من القاعدة وحسب المصالح الطبقية ٠

غير أن تلك الاشكال التنظيمية ، من « تجمع من أجل التحرير » ، ومن « اتحاد اشتراكي عربي » فشلت جميعها لان تنظيماتها التي حملت لقب « الديمقراطية » لم تكن في الحقيقة سوى اجهزة ملحقة بجهاز القمع وشبكات اضافية للضغط ٠

## النظام في بداياته المتعثرة

منذ شهر غشت اتضح الطابع الاساسي للحكم كنظام قمع ، عندما هاجم بالعنف اضراب عمال كفر الدنوار ، وحكم بالاعدام على الزعيم العمالي الكبير مصطفى خامس وعلى عامل آخر في المصنع محمد البكري ٠

وسرعان ما صار الشيوعيون وبقية المنظمات الفلاحية والعمالية فرائسا للاضطهاد واجبرت الحركة النقابية على الصمت ٠

ثم جاء دور الاخوان المسلمين (الذين تصل بعض جذورهم الى الجماهير على كل حال بالنسبة للضباط الاحرار) ليتلقوا ضربات الجماعة الحاكمة التي حاولت استخدامهم في أول الامر ٠ وفي سنة ١٩٥٤ اعلن عن حل تنظيمات الاخوان المسلمين ، والقي بقادتهم في السجن ٠

وفي القطب الآخر من المجتمع بدأ كبار الملاكين العقاريين يعبرون عن حنقهم نتيجة الاصلاح الزراعي ٠

وفي هذه الظروف لم يكن هناك من سبيل للتخفيف من حدة غضب جميع الطبقات غير انتظار الانتخابات ٠

وبينما التفت قسم من الضباط الاحرار الى حزب الوفد ، ودخلوا معه في مفاوضات حول تهيء المرور الى نظام مدني برلماني ، انكب عبد الناصر على تقوية مواقعه بفضل ثلاثة نجاحات سياسية :

– جلاء الجيش البريطاني الذي جاء نتيجة مفاوضات انتهت بالسماح لبريطانيا في مقابل قبولها بالجلاء ، بالاحتفاظ بسيادة اقتصادية ذات مدى اطول ٠

– الحصول على اسلحة اتشيكية من شأنها رفع طاقة الجيش المصري في وجه الجيش الاسرائيلي، وان كانت تلك الاسلحة يراد منها في الواقع انعاش الجيش بشيء من الصيت والنفوذ لدى الجماهير ٠

– تصفية تنظيم الاخوان المسلمين كآخر منظمة قادرة على تهديد النظام ٠

وفي سنة ١٩٥٥ لم يعد هناك من معارضة سوى من جانب البرجوازية التقليدية التي تصر على رفض استثمار اموالها في الصناعة رغم أنها فقدت الاملاك العقارية التي كانت في حوزتها ٠« غير أنها لم تكن تحارب الحكم باعتباره ممثلا لمصالح الشعب وانما باعتباره ممثلا غير مقبول لمصالحها الخاصة »٠

كيف انبثقت برجوازية الدولة ؟

ما هي تناقضات النظام وخلفيات هزيمة يونيو ١٩٦٧؟
ما هي التناقضات بين الجماهير الشعبية والطبقة الحاكمة ؟

ما هو مضمون حركة الجماهير وما هي افاقها ؟

**يتبع**

# حركة التحرر الوطنى

## التشـــــاد

المساحة ١،٢٨٤٠٠٠ كم

عدد السكان ٣،٥٠٠ ٠٠٠

سكان المدن ٧٪

العاصمة فور لامي

رئيس الحكومة طومبلباي

الوضعية الجغرافية : يقع التشاد غـرب السـودان ، شمال افريقيا الوسطى والكامرون ونجريا وشـرق النيجر وجنوب ليبيا ٠

الديــن ٥٠٪ من المسلمين ٠

أحرز التشاد ، كعدد كبير من البلدان الافريقية (داهومي ، نيجر ، ساحل العاج ، افريقيا الوسطى ، الكابون٠٠٠) على استقلاله سنة ١٩٦٠ ٠ واذا كان الشعب قد ضحى بالكثير لتحقيق هذا الهدف ، فـان الشكل الذي اتخذه عمليـا لا يكتسـي أيـة صبغـة شعبية ٠ فمردود نضالات الشعب التشادي لم تكـن في مستوى الصمود الحديدي والمجهودات الجبـارة التي بذلها لطرد الاستعمار الفرنسي ٠

وان شعار « الاستقلال »قد جند الجماهير الافريقية على العموم لان القارة بمجموعها كانت تعاني مـن الاستعمار المباشر ٠ وان نضال الشعوب الافريقيـة من اجل الاستقلال كان رد فعل جمـاهيري علـى السياسة الاستعماريـة التـي فرضتهـا

**عبد الكريم الادريسي**

البرجوازية الغربية على عـدد كبيـر مـن الدول فـي مختلـف المناطـق والقـارات ٠ وقد أدركت الحركات الافريقية الآن أن مـوجـة الاستقلالات « الناقصة » لم تكن في الواقع الا قانونية أي شكلية ٠



ففي التشاد ، تزداد السيطرة الفرنسية قـوة وشدة متخذة أشكالا مختلفة ٠ وتعتمد فرنسا فـي خطتها على فئة من الرجعيين احتكـروا السلطـة السياسة الاستعمارية التي فرضتها البورجوازيـة وينفذون بدقة مخططات أسيادهم ٠

فالحرية بالتشاد لا زالت مفقودة ، وأوسع فئات المجتمع تعيش استغلالا وحشيا ، كما أن اقتصاد البلاد في العموم يعيش أزمة خانقة : هذه حصيلة ١١ سنة من « الاستقلال السياسي »

### الحالة الاقتصادية

ان التشاد يعتمد في اقتصاده أساسا علـى القطن ٠ وهذه المادة تحتكر منذ ١٩٢٥ مـن طـرف شركة فرنسية « لاكوطو-نفران » لها ٢٤ معملا ٠

والاثمان التي تدفعها لمزارعي هذا المنتوج لا زالت مجمدة منذ ١٣ سنة رغم ارتفاع ثمن القطن عبر هذه المدة ب ٤٠٪ وعمال هذه الشركة يكونون ٧٠٪ من المسأجرين (بفتح الجيم) في كل البلاد ٠ والاجور التي يتقاضونها منخفضة جدا ٠

ان « لاكوطونفران » تستغل في نفس الوقت الزارع والعامل ٠ وتتكلف بتصدير القطن وبيعه بأثمان مرتفعة ٠ وزارعو القطن في التشاد يعانون كثيرا من الضرائب المرتفعة ، وكثيرا ما يرفضون أداءها فيسفر ذلك عن تطاحنات دموية ٠

وان الدولة تستمد ٧٣٪ من ميزانيتها من القطن وتخصص ٨٠٪ من مجموع ميزانيتها لاجور الموظفين ولتجهيز الجيش ٠ فهي تستغل عمل الجماهير وتستعمله ضدها ٠



ومن جهة أخرى ، فان التدهور الذي عرفته الصناعة القطنية الفرنسية هذه السنوات يدفع « لاكوطونفران » لتعزيز الاستغلال وتحقيق أرباح أكثر ضخامة من السابقة باعتبار أن تضخم الارباح هو طبيعة الاستثمار الرأسمالي ٠ وقد كان متوقعا أن المعاهدة التي عقدها طومبلباي مع شركة لاكوطونفران سنة ١٩٦٠ قصد تجميد ثمن القطن ستنتهي سنة ١٩٧٠ ولكن زيد فيها سنة ٠

أما بالنسبة لمربيي المواشي ، فان وضعيتهم أخذت تتأزم وبشكل واضح منذ سنة ١٩٦٤ أي تاريخ انسحاب التشاد من الاتحاد الجمركي والاقتصادي لافريقيا الوسطى ٠ فقد كان هذا الاتحاد يضمن لهم على الاقل أسواق الدول التي أسسته ٠

وللتشاد ثروات معدنية تتجه نحوها بلهف رساميل الاستعمار الجديد والامبريالية ٠ فمعدن الاورانيوم محتكر ب ١٠٠٪ من طرف الفرنسيين ٠

ومن الراجح ان في ارض التشاد كميات ضخمة من البترول ٠ وقد أحرزت شركة كونطننطل أويل الامريكية على رخصة التنقيب على مساحة تقدر ب ٦٠٠ ٠٠٠ كم ولمدة خمس سنوات ٠

فالواضح هو أن خيرات التشاد تنهب بشكل منهجي ومنظم ٠ وان نهب الخيرات هو في نفس الوقت نهب واستغلال لمنتجيها ٠

## السياسة في خدمة الاقتصاد

ان ترسيخ السيطرة الاقتصادية الفرنسية على التشاد يقتضي سياسة وقوانين معينة ٠ ان التطورات السياسية للحكومة لم تكن الا مسايرة لتطور سيطرة الاقتصاد الاجنبي و « للمشاكل » التي تنتج عن نضالات الشعب ٠

ففي سنة ١٩٦١ ، عزل طومبلباي كبرييل ليزيت عن مهامه ، وكبرييل هذا هو مؤسس الحزب التقدمي التشادي ، وفي نفس السنة ، نفى أحمد كوطوكو رئيس المجلس الوطني بدعوى أنه مس بسلامة الدولة ٠ وفي ١٤ يناير ١٩٦٢ ، حل المجلس الوطني لانه منع قبل ذلك كل المنظمات السياسية باستثناء المنظمة التي ينتمي اليها طبعا ، وفي أبريل ١٩٦٢ ، جرت الانتخابات الرئاسية التي نظمها « مجلس وطني » جديد ، وكان طومبلباي المرشح الوحيد ولمدة سبع سنوات ٠ وفي ٥ يونيه ، وضع قانون الحزب الوحيد ٠ وهذا القانون يتنافى أساسا

مع أبسط مبادىء الديمقراطية ٠ فهو يفرض خط طبقة معينة على مجموع الشعب ويقمع أي حركة سياسية تناهض الخط المتواطىء مع الاستعمار الجديد ٠

## حركة التحرر

ان الجماهير التشادية لم تنتظر شيئا من قوانين الحكومة لتقوم بنضالات قوية ولم تؤمن بخرافات الديمقراطية تحت حكم يخدم أساسا مصالح الاستعمار الجديد ٠ فقد ادركت الجماهير من خلال تجاربها أن مصالحها متناقضة مع مصالح الاستعمار الجديد ومؤيديه المحليين ٠ ففي سنة ١٩٦٥ رفض سكان واداي في شرق التشاد أن يؤدوا الضرائب لارتفاعها بنسبة ٤٠٠٪ ٠ وتدخل الجيش لقمع السكان ٠ وفي نفس السنة عرفت عمالات بوركو - انيدي - تيبستي نضالات قوية ٠

وفي ١٩٦٨ هجم بعض الثوار على احدى المستودعات واستولوا على الاسلحة ٠ وأدى هذا الحدث الى تدخل الجيش الفرنسي ٠ ومنذ ١٩٦٨ ونضال الجماهير يتسع ويشمل أغلب مناطق البلاد ٠ وان جبهة التحرير الوطنية التي أسست سنة ١٩٦٦ هي التي تقود كل النضالات في التشاد ٠ وتطرح في برنامجها السياسي « الاطاحة بالحكم الدكتاتوري وخلق حكومة وطنية ديمقراطية وشعبية »

وقد حاول طومبلباي تشويه نضالات جبهة التحرير الوطنية واتهم أعمالها بالسرقة واللصوصية ٠ كما أنه يشجع التفرقة التي وضعها الاستعمار بين الشمال والجنوب ٠ فان أهم المعامل والمؤسسات الاقتصادية توجد في الجنوب ٠ وهذه التفرقة تظهر حتى على صعيد التعليم ٠ فنسبة التدريس بالتشاد تبلغ ٢٥٪ ، و ٧٥٪ من هذه النسبة يستفيد منها الجنوب ، وفي الشمال ٥٪ فقط وأغلب أطر الادارة يستقطبون من قبائل السارا الجنوبية ٠ ويشن طومبلباي حملة تشويهية على الحضارة العربية في الشمال ٠ ولكن الجماهير أخذت تتجاوز هذه التفرقة لا بالشعارات فقط ٠ ولكن كذلك عبر ممارساتها اليومية ٠ فقبيلة التوبوس تنتمي جغرافيا الى الشمال ولكن عملياتها تشمل حتى جنوب البلاد ٠

## الوجود العسكري

لما أحرز التشاد على الاستقلال سنة ١٩٦٠ لم تسحب فرنسا كل جنودها ٠ فقد بقي في فور لامي أكثر من ١٠٠٠ جندي ٠ وتتلقى الحكومة التشادية قسطا وافرا من الاسلحة الفرنسية ٠ وبجانب فرنسا، تلعب اسرائيل والكونغو كنشاسا دورا مهما في دعم طومبلباي ضد الثوار ٠ ففي سنة ١٩٦٨ ، خلق اتحاد دول افريقيا الوسطى وكان خلق هذا الاتحاد يدخل في مخطط أمبريالي ٠ وكان التشاد من أعضائه ٠ وقد قبل موبوطو في اطار نشاطات هذا الاتحاد تدريب ٣٠٠ شاب تشادي في اسرائيل وذلك لتكوين « فرقة مظلات » وان الجنود الكونغوليين يشاركون الجيش الفرنسي في عدة هجمات ينظمونها ضد الثوار ٠

هكذا فان التغلغل الامريكي يتم وراء وعبر علاقات اسرائيل والكونغو كنشاسا بالتشاد وحتى الآن يوجد ٥٠ مستشارا اسرائيليا في التشاد يوجد من بينهم

المسؤول عن قوى الامن التشادية ، ولا داعي الى توضيح علاقة الصهاينة بالامبريالية الامريكية ·

ولكن مهما كانت الامبريالية متقدمة من الناحية التقنية والعسكرية ، فان قوة الشعب أضخم لانها ديناميكية ويدعمها ايمان الجماهير بنضالها وبالاهداف التي ترسمها · وأقوى دليل على ذلك هو أن تسعة مناطق على ١٤ محررة الآن يبنى فيها اقتصاد جديد ويخاض فيها تعليم شعبي وديمقراطي · وان دعاة السلم المجرد ييأسون لتضخم نضالات شعوب العالم الثالث ولانتصاراتها ، فالجماهير ترفض السلم اذا كانت مقهورة ، وتكافح من أجل احلال سلم حقيقي ·

وقد قال انجلز « اذا وضعت الناس في ظروف لا تناسب الا البهائم ، فما عليهم الا أن يثوروا أو أن يخضعوا للحيوانية »·



# شؤون فكرية

## النقد الذاتي وازمة التفكير السلفي

عبد القادر الشاوي

« كل ما هو رجعي لا يسقط اذا لم تضربه ، وهذا يشابه عملية الكنس ، فالغبار لا يزول عن مكانه من تلقاء نفسه ، اذا لم تزله المكنسة ... »

« .. ان كل الافكار الخاطئة وكل الاعشاب السامة ، وكل الشياطين والغيلان ، يجب أن تعرض للنقد .. »

ماوتسي تونغ



1

يبدو أن الحركة الوطنية في المغرب . ذاتيا وموضوعيا ، وعلى امتداد ربع قرن ، كانت تفتقد الى التثوير العملي الضروري على المستويين الطبقي والسياسي ، تثويرا نشيطا دافعا . . يكفي ان نقول مجردا ان سيطرة العامل الديني - كموروث عقائدي غيبي محافظ - كان من بين العوامل الاخرى ، التي عطلت كل فاعلية من هذا القبيل ، على المستوى الذاتي، فان الحركة الوطنية بقيادة الاحزاب السياسية الرجعية، لم تكن مهيأة مطلقا - في المدى البعيد أو القريب - لخوض تجربة نضالية متقدمة لوعيها التاريخي بشروط مأزق المرحلة . تجاوزا نقول « تجربة نضالية »، وبالدرجة الاولى انسجاما مع تحديدها الايديولوجي المتوارث لمستوى النضال ودوره الطبيعي . في رأيي، أن الارتباط السلفي على المستوى الفكري - كما سأوضح فد· بعد - بمفهوم الجهاد ، كفكرة اسلامية محورية بهذا الصدد ، كانت دون « المرحلة » التي كان يمكن أن تحققها الحركة الوطنية ، اعتمادا على أسلوبها الذاتي في تحضير جو الثورة الوطنية (كتقديس الزعيم الواحد - التمسك ببعض الاشكال التقليدية للسلطة اكبار الشعور الوطني) . وهكذا لم يعد باستطاعة الحركة الوطنية في ظروف المواجهة على امتداد فترة طويلة (١٩٤٤ - ١٩٥٦) أن تتجنب التناقضات الذاتية التي كانت تحكمها ، وكانت تلك التناقضات محدودة بعوامل عدة منها :

- (١) غياب النظرية الثورية ، كأساس ايديولوجي في تحديد المنطلق ، وتوضيح الهدف ، تحديدا وتوضيحا علمانيين ، بمعنى امتلاك الموقع الاستراتيجي - الطبقي ، وأبعاده ومعطياته .

– (٢) استحالة « تحديث » حزب ثوري في جو « الفتنة الوطنية » كاطار تنظيمي « مرشد الجماهير » وقائد الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب·

– (٣) طبيعة تكوين الحركة الوطنية في حد ذاتها ، كحركة جاءت نتيجة لتكاثف بعض العوامل الموضوعية (الاستعمار – الشعور القومي بالعروبة – ضرورة الاستقلال ··) مما زج في صفوفها بكثير من التناقضات ، كانت مدعاة لفشلها المرتقب ، وهذا ما كشفت عنه الظروف فيما بعد ، بحيث أصبحت الحركة الوطنية ، مسيرة لوحدة الطبقات المالكة ، وجسرا فاصلا بين الجماهير العزلاء ، ونظام الحكم في البلاد ·

على المستوى الموضوعي ، كانت الحركة الوطنية ، بتركيبها الطبقي المتناقض – المتعارض (شبه اقطاعي – شبه بورجوازي – بورجوازية صغرى نامية ··) في مواجهة الاستعمار المستوطن – كهدف مشترك – كل طبقة من موقع مختلف ومحدد في نفس الوقت : ولان الاختلاف ، كان يفضح طبيعة التحالف وقيمته ومستواه ، وبالتالي خطره ، ارتباطا مباشرا بالاستعمار أو غير مباشر ، عداءا سافرا ، أو عداء لفظيا ··· فكذلك التحديد ، يضع كل طبقة من تلك الطبقات ، في سلم توجيه مسيرة الحركة الوطنية على المستوى الفكري – خاصة – والتحكم في اتجاه سيرها العام ، على أساس تلك المعطيات ، وكنتيجة طبيعية حال هذا التركيب الطبقي المتناقض بين الجماهير المغربية ، وبين تبعة عملية الثورة الوطنية باختصار ·



## 2

في هذا الاطار اذن ، يمكن أن نتكلم بشيء من التوسع عن كتاب (النقد الذاتي) (١) كتعبير نظري ، عن مجمل القوى الفكرية ، التي تحكمت في سير الحركة الوطنية التقليدية ، وتوجيهها ، الوجهة التي كانت ترى فيها ، المحافظة على مركزها المرموق ، من ضمن البنى التقليدية المتعايشة في المجتمع المغربي · وكتعبير نظري أيضا – بما كان له من مردود تضليلي – ارهابي عن طموح الارستقراطية – البورجوازية ، في انضاج « الشكل الجنيني للوعي » لدى الجماهير الشعبية ، مع الحفاظ على مواقعها الطبقية ، درءا لنمو الوعي الثوري لحركة الجماهير – ومن هذه الزاوية يعتبر (النقد الذاتي) نقدا للحركة الوطنية في اطار بورجوازي – توفيقي ، باعتبار أنه يركز – كما سنرى – على المعطيات الدينية في الاستنتاج والتخريج · النقد – كما نفهم – الذي يمكن أن توجهه القيادة الارستقراطية – البورجوازية ، لحركة سيرها ذاتها · لاننا نفترض أن حركة الجماهير ، جماهير الفلاحين في الريف ، والبروليتاريا المعدمة – الرثة في المدن ، وقطاع من البورجوازية الصغرى ، لم تكن متفهمة لابعاد النضال الثوري ، ضد الاستعمار ، ولمصلحة من يتم ذلك ؟ وعلى أي أساس ، وضمن أي برنامج ، وبقيادة من ؟ وهو بالتالي (أي كتاب النقد الذاتي) محاولة لطرح بديل نظري وتوضيحه من وجهة نظر حزبية ملتزمة في مستوى ما ، أفترض أن هذا المستوى أصبح معروفا لدينا بالدليل الملموس ، دروسا استفادت منها البورجوازية الوطنية على وجه

---

(١) النقد الذاتي (علال الفاسي) الطبعة الاولى ١٩٥٢ المطبعة العالمية بمصر ·

أقصى ، في الوقت الذي كانت مهيأة فيه لاستقبال استقلال صوري ،وفي الصيغة التي يقدمها السيدعلال الفاسي في الكتاب ، ذلك أن « القيادات التقليدية للحركة الوطنية بسبب تركيبها الطبقي ، دفعت بالحركة الوطنية في طريق المساومة والتسوية ، واعتبرت الاستقلال السياسي خاتمة المطاف ، تستطيع أن ترث بواسطته بعض مواقع الاستعمار ، وتحقق ضربا من التوفيق بين المطامح الوطنية للجماهير وبين مصالح الاستعمار ومصالحها الطبقية في نفس الوقت » (٢) ٠

وانطلاقا من هذه الموضوعة يمكن أن يتشعب الحديث عن دور حزب الاستقلال « كحزب ذي تكوين ليبرالي ، ذي طبيعة رجعية ، ذي ايديولوجية اسلامية متوارثة » (٣) في مطلع الاربعينات وما بعدها ، وقوته الفعلية ، كتنظيم سياسي ، ومدى توجيهه ، وفي رايي أن الكتاب الذي بين ايدينا ، هو ثمرة كفاح الارستقراطية ـ البورجوازية ، نظريا ، ومدى تعبيرها عما يمكن ان يعثر عليه القارىء في الكتاب من تنظير للاصلاح والبناء بمفهومها الرجعي ـ التقليدي ، في هذه المرحلة بالضبط ٠

وهذا موضوع آخر ٠٠٠

قلت سابقا ان (النقد الذاتي) هو محاولة لطرح « البديل » ، وهذا يبدو صحيحا الى حدما ، نظرا لان الكتاب ، يتوسع في الشرح ، حتى يشمل جوانب الحياة العامة ، فكرا واقتصادا ، وسلوكا اجتماعيا٠٠ الا أنه ومن زاوية ذات خصوصية مفرطة في التركيز، يؤكد على الجوانب الفكرية ، التي كانت تقود الحركة الوطنية (الباب الثاني مثلا : التفكير بالمثال ابتداء من ٩٠ وما بعدها)٠ هذا التركيز له مدلوله الخاص ، من حيث أنه يستنطق الثرات السلفي ، ويستعير بعض المفاهيم الدينية ، بغية استحضار ما هو (سلفي) ، بديلا لما يسميه السيد علال « بالالحاد وعدم الاعتداد بالدين » ص ١٠٠ ٠

وبطبيعة الحال ، فان الفكر السلفي ، كان يمكن أن يقدم شيئا جديدا لولا الافكار المثالية المغلوطة ، التي يطرحها كقاعدة للبحث ، وكان يمكن أن يقدم شيئا جديدا أيضا ، لولا منهجه الاسطوري المغرق في التبشير ، الا أننا ـ وهذه شهادة جيل ـ لا نستسيغ ذلك ، ولا يمكننا ببساطة ، باسم العلمانية الفكرية ، وطرائق التفكير العلمي المتقدمة ٠

وعلى غرار ذلك يمضي السيد علال الفاسي محاولا استخراج بعض القواعد الاخلاقية « للمواطن الصالح » على حد تعبيره ، متمثلا بالحضارة العربية السلفية « يوم كان الجاحظ ينام في دكاكين الوراقين، يستمد مما عندهم ، وكان ابن المقفع يسهر على نقل الحكمة القاصية ، بينما يقف الباقلاني واضرابه ، أنفسهم على سهر الليالي ، روات العدد ، رغبة في التوفيق بين الدين والعقل » ! ص ٢٨ ٠ وهكذا يمتحن علال الفاسي المنهج العقلي بتحفظ « لبعث ثقافة اجتماعية في حدود التفكير السلفي درءا من كل جديد،والذي لا يمكن أنيكون الا نسخة من الغرب»ـ(٤)

---

(٢) حول بعض قضايا الثورة العربية /ياسين الحافظ

دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٥ ص ٢٥٢

(٣) موضوع للكاتب لم ينشر بعد بعنوان : الثقافة المرفوضة

ينقسم الكتاب الى الابواب التالية : مسائل الفكر ـ التفكير بالمثال ـ الفكر الاقتصادي ـ الفكر الاجتماعي · ويصل بين هذه الابواب جميعها ، خيط فكري مترابط ، مجبول من واقع الفكر السلفي بالتحديد ، منتظما بعض القضايا التي يعتقد السيد علال ، أنها تعبر بمسؤولية والتزام معانفين ، عن شواغل المرحلة الوطنية ،ولو في فترة متأخرة بعض الشيء · لهذا سيكون المنطلق الى تحديد بعض الافكار التي يطرحها كتاب (النقد الذاتي) ومناقشتها ، اقرارا بأن احتضار الثقافة السلفية الرجعية ، أمر أصبح مؤكدا بالدليل الملموس · هكذا ، وبقدر ما يهدف التطور بمستوياته المتعددة الى التجاوز ، الى تحقيق نقلات متوالية ، فنحن كذلك ـ ذاتيا وموضوعيا ، نريد أن نحقق ، ونتجاوز ، وأن نتحقق عبر الفعل الثوري ، اجتماعيا واقتصاديا ···

أولا : ينطلق السيد علال الفاسي ، من قاعدة أخلاقية ، اقتداء بموضوعات الفكر السلفي ، ويقصد الى القول في الفصل الاول باختصار :

(١) ان « الطغيان » الاناني هو مصدر كل النقائص الاجتماعية التي نحس بها في وسطنا ص ٣

(٢) « اذا يجب أن نجعل من فرديتنا ،أنانية متوجهة نحو مصالح الامة ومنافع المجموع » ص ٦

(٣) لتحقيق ذلك يفترض السيد علال « تلك الروح المغربية التي جعلت من أسلافنا أولياء ممتازين وأبطالا متفوقين ، لا يغارون الا على حقوق الله والوطن» ص ٦

(٤) لهذا يجب أن نأخذ أنفسنا على تفكير غير رجعي » ص ٩

(٥) ان اهتمامنا ينبغي أن لا يخص طبقة دون أخرى ، بل يجب أن يعمل على اصلاح شامل ، وتحسين كامل لحال الطبقات الاجتماعية باسرها ، تحقيقا للتقارب بينها » ص ١٥

(٦) ان توجيه تفكيرنا للاحاطة بكل النقط التي تنطوي عليها مسائلنا القومية ، هو العنصر الاساسي لتكوين الفكرة الطيبة التي تنطلق منها دعوة كفيلة باصلاح المجتمع وتحرير الافراد » ص ٢٤ ·

(٧) ان الفكر الصحيح الذي تحتاجه الامة ، ويمكن أن ينقدها من مصائبها ، ليس هو تفكير الشارع الذي يبنى على أصول عادية ، ولكنه فكر الطبقة المتنورة التي تستطيع أن تقلب الاشياء على جوهرها ، وتنفذ الى أعماقها » · ص ٣٥

(٨) ان الديمقراطية حسنة في كل شيء ، الا أن الارستقراطية الفكرية شيء ضروري لتوجيه الامة » ص ٣٥ ·

(٩) واذا أردنا أن نكون من انفسنا هذه الطبقة الرفيعة ـ ويعني الارستقراطية ـ وجب علينا أن نتحرر من كل سيطرة ، غير سيطرة الفكر المومن

(4) ANTHOLOGIE DE LA LITTERATURE ARABE CONTEMPORAINE PAR: ANOUAR ABDEL-MALEK P. 190

بالحرية ، حتى نستطيع أن نحرر الفكر العام من خرافات الماضي ، وفضلات العصر الحديث » ص ٦٤

(١٠) يجب علينا أن نتصور التحرر تدريجيا من منطق الشارع ،، والترفع قليلا عن التأثر بواقعية الحياة » ص ٣٨

(١١) ان تعميم التفكير – ويعني التفكير السلفي – في الامة هو سبيل نهوضها وتحريرها » ص ٤٤ ٠

## 4

ان هذه الافكار مجملة على هذا الشكل ، هي كل ما يمكن أن يخرج به القارىء ، عدا بعض التوجيهات المتأدبة ، والارشادات التي لم يبخل السيد علال الفاسي بجهده في اسدائها ، منثورة هنا وهناك ، ويجب ان نشير ، الى ان هذه الافكار التي قدمتها ، تنطلق جميعها من موقع فكري معين ، وتهدف – بالتالي – الى مخاطبة الآخرين في موقعهم ، بالتناسب ، الا انها في حالات متعددة ، تلغي هذا التناسب العام ، لصالح صفوة مختارة ، حرص السيد علال الفاسي منذ البداية ، على التوجه اليها بكل اخلاص ، ورغم ذلك ، فان هذه الملاحظات ، لن تعفي كتاب (النقد الذاتي) من بعض الانتقادات أجملها على النحو التالي :

(١) كان يجب أن نقول منذ البداية ان أفكار السيد علال ، كتعبير عن موقف خاص ، تجاه بعض المفاهيم الرائجة (الدين – الدولة – الايديولوجيا – النظم الاخلاقية ٠٠٠) هي أفكار مرفوضة أساسا ٠

لماذا ؟ ٠

لانها تقوم الوعي الذاتي المغلق ، بكل ذلك ، بديلا للوعي الطبقي المفتوح ، وتهدف الى التوجيه ، أخلاقيا واجتماعيا ، بقدر ما تهدف الى التقويم من زاوية خاصة ٠ وأعتقد أننا على اتفاق اذا قلت ان هذا التوجيه ، كان يروج في مرحلة ما ، لطرح المفاهيم الاستقلالية « كمذهب وعقيدة » ، على قطاع واسع من الجماهير ، كانت ترى أن الامل المعلق ، هو استرداد الشعور القومي بعروبتها واسلامها ، وبالمواطنة السليبة من جهة أخرى ٠

لذلك كانت « الاستقلالية » في هذا المستوى الليبرالي مهيأة لاحتواء هذا الوضع بكل تناقضاته ٠ الا أنه بعد وقت طويل ، ظهر أن هذا الاحتواء كان استيلابا طبقيا في واقع الامر ٠ كان مشروعا للاعتناء الطبقي بتعبير آخر على حساب الجماهير المغربية الكادحة ٠

– (٢) ومن هنا يمكن أن نعثر على الحلقة المفرغة في تفكير السيد علال ، باعتباره تنظيرا طبقيا بين أن يكون استنتاجا ذاتيا مثاليا ، يفرج عن رغائب الارستقراطية – البورجوازية في التعبير – كما يحلو لها عادة – عن الجماهير ، وبين أن يكون موجها – كما أفترض – الى هذه الجماهير ذاتها ٠

فهذه المفارقة العجيبة – كاستنتاج أول – تنسحب على كل الافكار المقدمة سابقا ٠

(٣) لقد وقع السيد علال في تناقض آخر يمكن تحديده كالآتي : ففي الوقت الذي اراد أن يقول « نريد ثورة في التفكير من عقليتنا ، ونعمل على تبديل ذهنيتنا ، حتى نستطيع أن نعالج مشاكلنا وفقا لما يقتضيه هذا العصر الذي أصبحت فيه المادة والآلة في المقام الاول » ص ١٠ نراه يقفز عن هذه الموضوعة ـ بفاعلية المنبه السلفي ـ ليجد نفسه أمام التسليم بأن « الحركة السلفية التي علمت بدأ نهضتنا أول تمهيد لهذا الكفاح العقلي والاجتماعي ، ستظل من غير فائدة اذا لم تتوج بحركة اصلاح شاملة ، وبدرجة أقوى وأشد عتوا • لقد علمت السلفية الشعب ان يستمع لنقد كثير ، كان يحرم على نفسه ان ينظر فيه او يسمع لاستنكاره وهي لم تقم الا بواجب يفرضه الاسلام » • ص ٥٤

ـ (٤) فهذه التناقضات على هذا النحو كثيرة ومتعددة ، تفتقد الى الضابط العقلي ، بل انه لا يجب ان نذهب بعيدا حتى نتحقق من ذلك ، انها بتعبير واضح من لوازم التفكير السلفي وخصائصه •

ـ (٥) يذكر السيد علال الفاسي ، أن الفكر الصحيح الذي تحتاجه الامة ويمكن أن ينقذها من مصائبها ، ليس هو تفكير الشارع الذي يبنى على أصول عادية ، ولكن فكر الطبقة المتنورة (ص ٣٥) • هذا القول بالضبط ، يعيد الى الذهن أصول التفكير البورجوازي السائد الذي يصدر عنه كتاب (النقد الذاتي) في كثير من فصوله • وليس من التناقض في شيء أن يصرح السيد علال الفاسي بذلك ، ما دام المستوى الفكرى العام الذي يطرحه ، له خلفياته الطبقية المحددة •

من هنا يجب أن نقول ـ على اعتبار أن الثقافة السائدة ، هي ثقافة الطبقة المسيطرة (بكسر الطاء) ـ ان كتاب (النقد الذاتي) كان مرشحا لان يلعب دورا ارهابيا على المستوى الفكري في فترة تاريخية محددة ، بل وأن يمارس استيلابا طبقيا ـ كما سبق أن قلت ـ على نطاق واسع ، في الوقت الذي كانت فيه الجماهير المغربية ، متمسكة بقيادة الاحزاب الرجعية قبل (١٩٥٩)• وهذا بالضبط ما رفع السيد علال الى التوجه بكثير من الآمال الى الشباب ، الذي يتردد ذكره في كثير من فصول الكتاب علّه يفي بجهده في الاستقطاب النظري ، ضربا على الاوتار التقليدية المعروفة (الدين ـ الديمقراطية الليبرالية ـ المشروعية والتعادلية الى آخر القائمة)•

ومن هنا أيضا ، نفهم السياق العام الذي ورد فيه القول المذكور أعلاه ، فالابتعاد عن تفكير الشارع كما يعبر علال الفاسي ـ هو بالضبط وبلغة فكرية مهذبة فقط ، تحقير ساذج لآمال الجماهير العريضة ، أو محاولة لفرض التوجيه الطبقي الارستقراطي المقصود • والسيد علال يؤكد ذلك ـ هو نفسه ـ عندما يقول : ان الديمقراطية حسنة في كل شيء ، الا أن الارستقراطية الفكرية ، شيء ضروري لتوجيه الامة » ص ٣٥

(٦) أعتقد ان الاسترسال في هذا المستوى ،يسلمنا الى سؤال محدد وهو : كيف يمكن ان نواجه هذا

الضرب من التفكير ـ السلفي ـ الرجعي ـ المتفشي بشكل غريب في الوسط المغربي ، بل وفي البلدان المتخلفة عموما ؟

يقول (ياسين الحافظ) : في مواجهة الواقع العربي الذي يشله التخلف الثقافي والاجتماعي الغارق في ظلامات السحر والوهم والغيبيات ، يصبح التأكيد على الجانب العلمي ـ العلماني من الماركسية ضرورة لابد منها لمواجهة هذا الواقع مواجهة جذرية شاملة » (ص ٢٧٤) لهذا ـ كما يقول أيضا ـ فان النضال الاشتراكي في البلدان المتخلفة ، ومنها وطننا العربي ، مطالب بتحقيق الثورتين معا : **ثورة علمية ـ علمانية على الصعيد الفكري والثقافي، وثورة على الصعيد الاقتصادي** ، تغير علاقات الانتاج الاقطاعية ، وشبه الرأسمالية ، بعلاقات انتاج اشتراكية لتركيز قاعدة مادية لانطلاق اقتصادي جدي. **لذا فان الثورة الاشتراكية في بلد متخلف ستكون هجينة ومشوهة ومبتورة اذا تناولت بالتغيير الجانب الاقتصادي دون أن يترافق هذا التغيير بثورة علمية ـ علمانية على الصعيد الفكري والثقافي ...** » **(ص ٢٧٥)**

**للموضوع بقية**

# الركن الاديلوجى

## التجديد الثقافي والتحرر الفكري (1)

عبد اللطيف اللعبي

### المنهج الوصفي والمنهج العلمي

اننا اذا اجتنبنا مآزق العلم الوصفي البرجوازي وما يليه مما يسمى « بالموضوعية الحيادية » «والواقعية الجدية » ، نستطيع أن نواجه الموضوع المقترح علينا لا كنقاد أو باحثين مجردين بل كمناضلين في اطار المعركة الفكرية والثقافية الوطنية والعربية التي تخوضها كل القوى التقدمية في البلاد ·

36

لانه لا يمكن أن نسمح لانفسنا بالوصف والحياد والتصنيف ، وعرضنا هذا ينطلق من الفكرة الاساسية التالية : ان ساعة الاختيارات الحاسمة قد دقت وأنه لابد من تعرية جذرية لكل الالتباسات والاستيلابات الفكرية والثقافية التي يتخبط فيها مجتمعنا ، وعلى الاخص مثقفونا ورواد الفكر عندنا ·

ان كل عمل او منهج في هذا الميدان يخضع حسب رأينا وفي كل الاحوال الى التزام واختبار معينين ، والالتزام يتغير فحواه حسب الانعكاسات الطبقية والمناهج العلمية وطرق التعبير والتبليغ التي يتبناها أو يقف بجانبها الملتزمون ·

فمن جانب العلم الحي ، اي المسيس ، المرتبط بالممارسة العملية ، المميز بالوقوف بجانب الجماهير الشعبية المضطهدة ، انطلاقا من تطلعاتها التحررية، فان لكل التزام لونه الخاص وانعكاساته الخاصة كما أن المناهج العلمية تخضع هي الاخرى الى اختيارات معينة · فالعلم الشبه اقطاعي أو البرجوازي مثلا هو اديولوجي في عمقه كما أن العلم الاشتراكي اديولوجي كذلك · ليس اذن هنالك علم نزيه كما يعتقد · وليس هنالك أيضا مجرد خلاف كما يعتقد ما بين مفهومين للحقيقة والاخلاق · بل هنالك فاصل قاطع ما بين الالتزامين مضادان تماما وفي حالة معركة مصيرية ·

لهذا سنبدأ بوضع بعض الاسئلة ، وانطلاقا

---

**(١) يرتكز هذا المقال في مجمله على نص العرض الذي كنت قد القيته في مارس ١٩٧٠ « بدار الفكر » وذلك تلبية لدعوة اتحاد كتاب المغرب · وكان الموضوع المقترح علي هو « التيارات الجديدة في فكر القرن العشرين » ·**

منها ، سنحدد الاطار الذي اخترناه لتحليلنا ، ونشير كذلك الى المزالق التي نرفض زج أنفسنا فيها على أساس أنها لا تهمنا ولا تستطيع أن تكون الا موضوعات انشائية لمستهلكي الثقافة الغربية البرجوازية ومختصيها الناشئين ، ونحن نؤكد على هذا الموقف من الناحية المنهجية لكي يظهر جليا أننا نرفض الدخول في أية مناقشة لا تعني مباشرة

**ولا تضع كأرضية ثابتةقضايا وتطلعات جماهيرنا الكادحة · هذا هو التزامناالصريح وعلى أساسه نبنى منهجنا العلمى ·**

## ماذا يعني اذن بالتيارات الجديدة ؟

هل هي التيارات التي تحتم وجودها علينا يوميا الصحافة والكتب المعروضة واجهزة الاعلام المختلفة والتي يهتف بها كثير من المثقفين عندنا ، أكانت ثقافتهم غربية أم عربية ؟ ان نظرة خاطفة عما كتب في الصحف والمجلات خلال البضع سنوات الماضية لتبين بوضوح ان هذه التيارات ، في نظر معظم مثقفينا هي التيارات المحصورة في حلقةالثقافة والفكر الغربيين بما فيهما من « موضات » فلسفية وادبية وفنية الخ ··، ولا تلبث هذه المستوردات أن تصبح نبراسا للتجديد والمقارنة ما بين الجديدوالقديم، الرجعي والطليعي ·

وقد يحصل هذا الاستيراد مباشرة ولكنه يأتي أيضا على يد مثقفي الشرق العربي الذي يخضع بعضهم هم الآخرون لنفس الاستيلابات ·

واننا لم نضع هذا التساؤل عفوا ولم نتطرق لموضوع هؤلاء المثقفين صدفة · لقد طرحنا ذلك وعيا منا بأن هذا التحريف يشكل ظاهرة أساسية ولن نستطيع ان نحقق أي تغيير جذري ما دامت هذه الافكار مهيمنة ولم نستطع أن نستأصلها من واقع ثقافتنا وفكرنا ·

وهذه الظاهرة ناتجة عن مسلكين اثنين ·

اولهما وهو منتشر عند المثقفين ذوي التكوين الفرنسي ، يكمن في الاعتقاد أن « التخلف » طامة شاملة وان التخلف الفكري والثقافي واقع آلي في المجتمعات المتخلفة اقتصاديا · يكمن كذلك في الاعتقاد بأن المجتمعات الغربية بتقدمها التكنلوجي والعلمي تبلور حتميا ثقافة وفكرا في مستوى أعلى وأرقى من مستوى ثقافات « العالم الثالث » ـ

لن نتماطل في الرد عن هذه الاعتقادات ومن جملتها خرافة التخلف في مجتمعاتنا ، فالتحليل الذي سيأتي سيبين مدى لا جدية هذا المنطق ·

ومن مثل هذه التخمينات ينطلق هؤلاء المثقفون الى قرارات أخطر ، فيقفون اتجاه ثقافتهم موقف الاحتقار والسخرية ، ثم يصبحون مستهلكين للثقافة الاجنبية ، ببغائيين ، ويفقدون كل مبادرة فكرية خلاقة ·

ثانيهما وهو منتشر عند المثقفين ذوي التكوين العربي ناتج عن مركب نقص يدفع بهم الى تفتح غير انتقائي وساذج شيئا ما على الثقافة الغربية ، وهذا التفتح يصبح في بعض الاحيان نوعا من الترف الفكري وأداة من أجل الترقية الفكرية . فنرى على سبيل المثال كثيرا من كتابنا الشباب الذين يجدون طمأنينة وعزة في نسبة ما يكتبون لطريقة روب غرييه او بيكت او غيرهما ، وهذا يمثل بالنسبة اليهم وسيلة للالتحاق بركب الطليعة التجريبية . وسنتناول بالنقد في تحليلنا هذا الجانب كذلك .

**ما هو الجديد ، وبالنسبة لمن ؟**

طبعا كل طبقة اجتماعية ولا سيما الطبقات المهيمنة أو التي تنتظر دورها لممارسة الحكم لها
38 خصوصياتها الفكرية والتعبيرية . فهذه الطبقات لا تكتفي بالهيمنة الاقتصادية والسياسية ، بل تسخر كذلك العلم والفكر والثقافة للسيطرة الاجتماعية ولتأمين المستقبل . لهذا نحن مضطرون لوضع هذا السؤال : ما هو الجديد وبالنسبة لمن ؟

واذا انطلقنا من موقف الطبقات المستغلة (بفتح الغين) فنحن ملزمون بالاجابة على هذا السؤال قائلين : ان كل الموضات الفكرية في الغرب والشرق التي يهتف بها جل مثقفينا لا تعنينا قطعا لانها لا تستجيب لحاجياتنا ولا تعبر من أي جانب كان عن تطلعاتنا للتجديد والتحرر واجهاض واقع الاستغلال. انها تيارات موسومة من الناحية الاديلوجية والطبقية ، ولا غرابة اذا وجدناها موضوع البحث والنقاش والاعجاب في بعض الصحف وفي الجامعة وفي حلقات المثقفين المحترفين . ولا غرابة اذا سمعنا تأوهات هذه الاوساط عن عزلتها وعن الهوة الموجودة بينها وبين الجماهير وعن عدم تفهم الجماهير لافكارها وتجاربها وغربتها ، فلا يعني الجماهير بطبيعة الحال سأم هذه الاوساط ولا ضياعها وتمزقها وشعورها بالحرمان وعدم التكامل أو فشلها في الميدان الجنسي وأزماتها النفسية الى غيرها من الموضوعات المألوفة .

لا يهم كذلك هذه الطبقات المستغلة أن تكون هنالك علوم متعددة الاسماء ،وتقنيات وميتودولوجيات جديدة ومدهشة اذا لم يكن هدفها الحقيقي تمكينها من تحريك أكثر فعالية لعجلة التاريخ وتحطيم الهياكل التي تقمعها ماديا ومعنويا .

وبهذا الصدد أتذكر مناقشة دارت مع استاذ مغربي سسيلوجي بعد محاضرة عن « السسيلوجيا والعالم الثالث » حيث قال : ان شعوب العالم الثالث والعربي ليست لحد الآن في مستوى السسيلوجيا ولا تستحق هذا العلم ، فأجبناه آنذاك : ان هذه الشعوب هي على كل حال في استغناء تام عن علمك المزعوم لانها لا تنتظر تصنيفا او وصفا لحالتها ولكنها تنتظر الفكر الذي يمكنها من تغيير واقعها بنفسها .

**خلاصة لمضامين التجديد الثقافي والتحرر الفكري**

ان التيارات الجديدة التي ظهرت خلال السنوات العشرين الماضية والتي تمثل بالنسبة اليها قفزة حاسمة في ميادين التغيير والتفكير والتحرر تتبلور ، اذا اردنا التلخيص والتسهيل حول الاعمدة الاساسية التالية :

١) تعرية الهيكل الاستعماري واستراتيجيته في

الميدان الثقافي والفكري وتبين اساسه العنصري ·

٢) نقد فكرة الثقافة الشمولية وفكرة الحوار المزعوم ما بين الثقافات والتأكيد على حقيقة الثقافات الوطنية ·

٣) التأكيد على الطبيعة الطبقية لكل تيار ثقافي أو فكري ·

٤) التأكيد على أن التغيير الثقافي والفكري الحقيقيين متوقفان على تحرر قدرات الجماهير الخلاقة وبالتالي دحض كل نظرية نخبوية وكل محاولة وصاية او استحضان اتجاه الجماهير ·

٥) التأكيد على أن التسلح بنظرية علمية مسيسة ضروري للاطاحة بالاستغلال الفكري ولقفزة كيفية في ميدان الخلق والتعبير ·

٧) التأكيد على أن التغيير الثقافي والفكري منوطان بقرار وممارسة التغيير الاجتماعي والسياسي وان الثقافة الجديدة تتكون في غليان الكفاح التحرري ·

وهذه الافكار والاستنتاجات تكون كلها نقدا دقيقا ورد فعل شامل لاوضاع ومخلفات كان ولا يزال يمثلها :

١) الفكر التقليدي والتيلوجي

٢) الفكر المثالي والبرجوازي والتقنقراطي

٣) الاديلوجية الاستعمارية

٤) الثقافة البرجوازية الغربية المتشبعة بفكرة تفوقها وشموليتها والمعروضة كمرجع أكيد وكنبراس على الثقافات الاخرى ·

## الحركة الفكرية التحررية المناهضة للاستعمار والاستعمار الجديد

أول تيار يهم تحليلنا تمثله الحركة الثقافية والادبية التي نمت بعد الحرب العالمية الثانية في افريقيا والتي كان على رأسها عددمن المناضلين والمفكرين والكتاب الافارقة السود والانتيين والعرب كذلك ·

وكان لهؤلاء المثقفين تاريخيا الدور الاساسي في ايجاد الشكل والفحوى الثوريين للتيار التحرري في افريقيا وتسليط الاضواء اللاذعة على الهيكل الاستعماري ومنطقه وفضح استراتيجية في الميدان الفكري والثقافي، ولم يكتف هؤلاء المثقفون بمواقف عدائية فقط وبالرفض الغريزي المحدود للتغلغل الاستعماري ( كما كان الشأن بالنسبة للحركة الوطنية عندنا ) ، بل استطاعوا أن يبينوا للشعوب الافريقية وللرأي العام العالمي واقع ومغزى الاستعمار الحقيقيين والتسلسل التاريخي والاقتصادي والحضاري الذي أدى اليه وكذلك التقنيات المعقدة التي حاول الاستعمار أن يستعملها من أجل ارساخ هيمنته واستغلاله ·

فبين مثلا فرانزفانون في كتبه ومقالاته المتعددة طبيعة وعمق الخلل الذي يلحقه الاستعمار بالهياكل الاجتماعية والفكرية والتعبيرية للشعوب المستعمرة ، وان الاستعمار يكون عطبا في مجرى تاريخ الشعوب التي تفقد شيئا فشيئا قدرة التعبير عن نفسها ورؤيتها الخاصة للعالم والاشياء والمستقبل ، فالاستعمار ينفي تمام النفي امكانية ثقافات في البلدان المستعمرة ، وكما قال ءايمي سيزير في هذا الموضوع : ان النظام السياسي والاجتماعي الذي يمنع شعبا من تقرير

مصيره يقتل في نفس الوقت القدرة الخلاقة لهذا الشعب » ـ

ولقد استطاع هؤلاء المثقفون أن يظهروا بطريقة علمية زيف كل محاولة تهدف ، في اطار الوضع الاستعماري ،الى نوع من الزواج الثقافي والازدواجية مبينين أن السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي كانت تشكل العمود الفقري لسياسة الاستغلال الاقتصادي واستغلال الطاقة البشرية المحركة ، وأنها وليدة تفكير عنصري مبني قبل كل شيء على احتقار ونفي تامين للثقافات الافريقية · فلم يكن من الممكن بتاتا أن يكون هناك زواج في وضع الاجهاض، والتدمير لكل المقومات الفكرية والثقافية الافريقية ·

وكان قانون في محاضرة القاها عام ١٩٥٦ بمناسبة انعقاد أول مؤتمر للكتاب السود في باريس قد حلل بتدقيق هذا الاساس العنصري للوضع الاستعماري حيث قال : ان العنصرية تظهر في عملية تبسيط الآخر · فمن جهة يقرر المستعمر (بكسر الغين) ان هناك ثقافة (أي الثقافة الغربية) لها طابع الدينامية والازدهار والعمق ، ثقافة في تحرك وتجديد مستمرين ، ومن جهة أخرى يجد في الثقافات المستعمرة (بفتح الغين) خاصيات فقط ، اعجوبات ، أشياء ، لا بنيات » ·

ومن هذا المنطق ، تنطلق الايديلوجية الاستعمارية الى فرض الثقافة الغربية والفكر الغربي كحل لحالة « همجية وفطرية » الشعوب المستعمرة · وهذا الفرض يكون في رأيها عملية انقاذ انسانية وعملية ترقية فكرية وحضارية للمستعمرين · وتقدم الايديلوجية الاستعمارية من أجل ذلك ، ولا سيما للنخب الافريقية التي تكونها المدرسة الاستعمارية عددا من القيم الشمولية الانسانية (أي القيم الغربية) كقيم ثابتة وناجعة ، لها اقدمية ، وذلك لكي تتيقن تلك النخب من ان الثقافة الغربية هي الوسيلة الوحيدة للخروج من همجية عصر ما قبل الاستعمار وللالتحاق بركب الحضارة الشمولية ·

وقد تصدى المثقفون الافارقة الى هذا المنطق لفسخه ولتعرية انطلاقاته الاستراتيجية ولتبيين علاقاته بواقع الاستعمار الملموس ·فبينوا أن الهمجية الحقيقية في الميدان الثقافي هي الواقع الاستعماري نفسه ، فلا يمكن لاي ثقافة ان تتبلور وان تساهم في تكوين الثقافة الشمولية المقبلة اذا كانت في حالة تشويه وتعسف والا اذا انطلقت من معطيات وقيم خصوصية ، اي التاريخ والانسان والثقافة والارض الافريقية ·

أما فيما يتعلق بمرحلة الاستقلالات ، فقد ركز هؤلاء المثقفون نضالهم الايديلوجي على معطيات ، لها ارتباط منطقي بالمرحلة السابقة ، وتكون اليوم ، في معظم الدول المستعمرة فيما قبل ظاهرات مشؤومة · فبينوا أن المعركة الفكرية لا تنتهي بانتهاء الوضع الاستعماري المباشر وبمجرد تسليم السلطات ورفع الاعلام الوطنية · فان الاستعمار الذي يخرج من الباب الكبير ، يدخل من النافذة ، فيتزيا بأقنعة مكثفة ويكون شعارات جديدة مثل التعاون الثقافي والحوار الضروري ما بين الثقافات الخ ··· ليستعيد سيطرته القديمة وليستغل الشعوب الافريقية ويستحوذ عليها فكريا وثقافيا ، باسم الصداقة ومشاريع التنمية والمساعدة والتفتح على المعرفة والتجارب الاخرى ·

وفي هذه المرحلة ، تتكون التباسات خطيرة عند رجال الثقافة الذين يفقدون كل يقظة وكل روح نضالية وذلك ناتج بطبيعة الحال عن عدم وعي عميق بأسس ظاهرة الاستعمار وباستراتيجية الاستعمار الجديد ·

وبين المناضلون الافارقة انه اذا كان ليس من الممكن في عهد الاستعمار اي حوار أو ازدواج ما بين الثقافة الاستعمارية والثقافة المستعمرة ، ففي عهد الاستقلالات · أيضا ، هذا الحوار والازدواج ليس بالممكن ولن يتم (اذا ما كانت تجارب في هذا الاتجاه) الا بعرقلة الثقافات الوطنية وبدمجها في اطار الثقافة الغربية البرجوازية · فثقافاتنا ليست مستعدة في الاوضاع الراهنة لاي حوار مع الثقافة الامبريالية المهيمنة ·

ل·س· سنغور في تشكيل ثقافة افريقية ـ لاتينية مثلا لا يعبر الا عن الواقع الملموس للتبعية السياسية والاقتصادية ·

ازاء هذا الزيف الجديد وهذه الاستيلابات ، يتحتم على المثقفين الافارقة أن يتخطوا قفزة فكرية جذرية تكمن فيما قال فانون : « طلاق الغرب » وفي احباط كل مركب نقص اتجاهه ، والتأكيد على المبادىء الاساسية التالية :

- حق المبادرة الفكرية والمسؤولية
- قرار الاخذ على العاتق لثقافتنا ومجتمعنا
- اعادة تقييم وعملية غربلة ثقافتنا والدفع بها الى تركيب جديد يضمن تحررها النهائي ·

وهذه الاسس الجديدة لن تتوفر اذا لم يتحمل مثقفونا وخلاقونا مسؤوليتهم في مناهضة الاستعمار الاستعمار الجديد وفي الرد عن مناوراته ، واذا لم يجعلوا من طرق تعبيرهم آلات لنسف الزيف ولتفجير ، من الداخل ، كل المركبات وكل الاستيلابات ·

## العنف الثوري والثقافة الجديدة

لقد رسمت الحركة التي تحدثنا عنها الاطار النظري لمناهضة الاستعمار والاستعمار الجديد في ميدان التجديد الثقافي والتحرر الفكري ، كما قدمت هذه الحركة نماذج ثقافية جديدة مطبوعة بطابع الغليان الثوري ، مشحونة بأصوات الشعوب المضطهدة وابرزت الى الوجود حواس وتطلعات الانسانية المسحوقة فمهدت الطريق الى الحركات التي تلتها ·

ان الحركات الوطنية التحررية والحركات الثورية التي تقتحم اليوم قلعات الامبريالية في العالم قد استفادت من هذا العمل التوضيحي كل الاستفادة· فأصبحت قادرة على استيعاب أشمل لمعطيات الامبريالية الثقافية وكذلك لطرق نسف هياكلها واقتلاع جذورها

غير أن هذه الحركات الاخيرة ، استطاعت أن تتجاوز حصيلة الحركة الاولى نظرا لمعطياتها وظروفها النضالية الخاصة ، نظرا للظرف التاريخي الحاسم الذي تكونت فيه ، فلقد استفادت هذه الحركات ، علاوة عما سبق ، من تجارب الحركة الثورية العالمية في الميدان السياسي والاديلوجي وكذلك من تجربة مرحلة الانتقال نحو تحقيق الاشتراكية في بعض البلدان التي استطاعت شعوبها ان تقضي نهائيا على السيطرة الامبريالية والبرجوازية ·

ان الحركة الاولى التي تحدثنا عنها تكونت في المرحلة التاريخية التي شاهدت انطلاق الحركات التحررية الوطنية بقيادة البرجوازية والذي طغا فيها الصراع مع الاستعمار على الصراع الطبقي . أما الحركات التي نحن بصددها ( حركة التحرر في المستعمرات البرتغالية ، في فلسطين والخليج العربي ، كفاح شعوب أميركا الاتينية والشعب الافريقي الامريكي الخ ...» فهي حركات أكثر جذرية حيث أنها لا تقتصر على الصراع مع الامبريالية والفاشستية الجديدة ، ولكنها تكافح كذلك لكي لا تفلت قيادة الحركة من يد الطبقات الثورية التي باستطاعتها ، عند تحقيق التحرير ان تحقق المجتمع والثقافة الديمقراطيين والشعبيين . ولقد التفتت هذه الحركات منذ البدأ الى أهمية النضال في الجبهة الثقافية وتمكنت أن تحدد في اطار الكفاح السياسي والمسلح دور الثقافة الثورية وان تبلور طرقا جديدة للتعبير .

ان هذا الارتباط العضوي ما بين الكفاح الاديلوجي والسياسي والمسلح والكفاح من أجل بناء ثقافة مناهضة للامبريالية ، ديمقراطية وشعبية يجعل من حركة التحرر الراهنة في منطقة الزوابع أحد المحاور للثقافة الجديدة والتحررية . « ان الثورة، كما يقول ماريو دي أندراد ، أحد قادة الحركةالشعبية لتحرير انغولا ، هي العمل الشعري الاسمى » . معنى ذلك أن الثورة هي في حد ذاتها طاقة تغيير شاملة . فكما حاولت الامبريالية أن تنفي وتعطب ثقافات الشعوب المستغلة ، فان الثورة تلحق عطبا جسيما بالجهاز الامبريالي مهشمة بذلك جميع اركانه. وانها تفجر في نفس الوقت الطاقات الخلاقة لدى الشعوب (التقنية - العسكرية - الثقافية) . ففي اطار الكفاح الجماهيري والكفاح المسلح تتكون شيئا فشيئا الثقافة الجديدة ويظهر الانسان الجديد .



ان العنف الثوري هو الذي يحل مشكل الثقافة أكان هذا العنف يتجسد في الصراع الطبقي الثوري او في حركة التحرر الديمقراطية والشعبية . وحلم المثقفين البرجوازين بخلق ثقافة جديدة خارج الصراع الطبقي والكفاح التحرري يدل في العمق على خوفهم من الجماهير ومن النضال - فحرية التعبير التي يطالبون بها « والثورة الثقافية » التي يتمشدقون بها ما هي الا مظاهر من طموحهم الى تسلق الدرجات الاجتماعية .

فالثورة الثقافية الديمقراطية والشعبية التي تتكون الان في جميع البلدان التي تخوض فيها الشعوب نضالات عنيفة ضد الامبريالية والانظمة الاستعمارية الجديدة والفاشستية الجديدة تعبر عن وعي الجماهير بطاقتها المحركة للتاريخ وبقدرتها على تحويل العالم .

ان الثقافة الثورية الجديدة في انغولا وفلسطين وامريكا (الاحياء الشعبية التي يسكنها الافارقة الامريكيون وغيرها تشكل حسب التعبير الذي كان قد أعطاه لينين » دولبا وعجلة من ميكانيك الثورة العام ، أنها تكون عنصرا هاما من قضية الثورة » - ان المناضل أو الفدائي الذي يحمل البندقية اليوم يعلم جيدا أنه يقاتل من أجل الثقافة كذلك ، فالكفاح التحرري الذي يهدف الى القضاء على استغلال

الانسان للانسان وتمكين الجماهير الكادحة من وسائل الانتاج والسلطة السياسية يهدف في نفس الوقت الى تكوين الانسان الجديد ، المتمتع بجميع قدراته العقلانية منها والحسية ، وهذا يدل في نهاية التحليل على الارتباط الجدلي ما بين الثورة السياسية والثورة الثقافية ويشير الى أن التغيير في الميدان الثقافي لا يمكن أن يتم الا بممارسة التغيير السياسي .

## الثورة الثقافية البروليتارية الصينية

نتطرق الان الى التيار الثالث ، الذي يهم في الواقع تجارب عديدة ، لكننا سنركز التحليل على مثال الثورة الثقافية البروليتارية الصينية .

وقبل ذلك لابد أن نلاحظ أن الصحافيين المحترفين عندنا ومثقفينا الذين يخصصون صفحات عديدة للحديث عن « جائزة نوبل » أو غير هذه المواضيع لم يشيروا قط لهذه التجربة الكبيرة التي بدأت تطور الان فكر وثقافة مئات الملايين من البشر ،

ولا يمكن ان يفسر ذلك الا كموقف اتجاه تجارب معينة ويدل على الحدود الفكرية السائدة في بعض الاوساط .

لقد انطلقت الثورة الثقافية منذ سنة ١٩٦٦ ، وكان هدفها حسب القادة الصينيين :

١) ممارسة دكتاتورية البروليتاريا الشاملة في البناء الفوقي بما فيه جميع مجالات الثقافة

٢) استئناف بحدة جديدة الصراع الطبقي والصراع الاديولوجي .

٣) نقد والاطاحة بمخلفات الثقافة والاديلوجية البرجوازية

٤) انتزاع الثقافة من ايدي البيروقراطية والبورجوازية

٥) خلق ثقافة ثورية من ولاجل وتحت قيادة العمال والفلاحين والجنود .

وقد انطلقت هذه الثورة بعد أن أخذ القادة الصينيون يسلطون النقد اللاذع على بعض الدوائر والانتاجات الادبية والمسرحية وكذلك على وزارة الثقافة التي وصفها ماوتسيتونغ بأنها : « اذا ما بقيت على حالها بدون تغيير ، يجب تغيير اسمها بوزارة الاباطرة والملوك والجنرالات والوزراء ، او وزارة النوابغ المدللين والحسناوات ، او وزارة الموتى الاجانب » ودعى القادة الصينيون الى تعبئة جماهرية والى تفجير الطاقات الخلاقة والتعبيرية لكل الجماهير الشعبية . وكانت من بين الشعارات المطروحة : النقد العلني ، والتعبير الحر والجماعي ، جرأة التكلم ، جرأة التفكير ، جرأة الخلق ، وفضح كل محاولة تهدف الى قمع الجماهير فكريا .

وعلى هذا الخط ، اندلعت الثورة الثقافية الصينية فانتشرت في كل انحاء البلادذ الملصقات الحائطية التي أخذت تعبر عن تفكير الجماهير وعن قدرتها الخلاقة والتي فضحت كذلك محاولات الرجعية والبيروقراطية من أجل استعادة مكانتها في الميدان **الثقافي كما حاولت التغلغل في أجهزة الحزب والدولة لاعادة سيطرتها ، هكذا يتبين ان الثورة الثقافية كان هدفها الرئيسي هو احباط مخطط البرجوازية الذي** كان يهدف الى انتزاع السلطة من الطبقات الثورية وبالتالي تعزيز وتحريك جديد لدكتاتورية البروليتاريا

في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية والايدلوجية ·

ومنذ ١٩٦٦ الى الآن ، وفي الميدان الادبي مثلا يمكن القول بأن الانتاج الشعري يقدر بمئات الملايين من القصائد ، عبر كل واحد فيها عن جرأته في التكلم والتفكير والخلق ، كما يدل على ذلك هذا النموذج من تأليف عامل صيني بسيط :

**المنارة**

**الخط العام منارة مشعة**

**تضيىء لنا جيدا درب تقدمنا**

**الامس كان ما يزال معتمرا قبعة المتعلم واليوم لا قبعة : نشمر عن سواعدنا وقرب الآلات نكتب الاشعار !**

**والشعراء هم نحن ـ نحن العمال ·**



وما يمكننا أن نستنتج من هذه التجربة التي عمت ميادين مختلفة ، ولا سيما التعليم (راجع مقال الثورة الثقافية في جامعة بيكين · العدد ٢٠/٢١ لمجلة انفاس بالفرنسية) ، أن مفهوم الثقافة والمثقف مفهوم نسبي جدا ، وان مشاكل مثل تبسيط الثقافة أو النزول عند مستوى الجماهير مشاكل مفتعلة مصطنعة ، فالامر في الواقع لا يتعلق بذلك ، بل يكمن في الاقتناع أو عدم الاقتناع بأن الثقافة ليست هي التي تنزل من فوق ، بل هي التي تصعد من اعماق الجماهير وبان المثقف ليس هو الحاصل على الشهادات ، والمعرفة الجامعية الواسعة ، والمحيط بالنظريات المتعددة ، بل هو الذي يستطيع الوصل المستمر ما بين النظرية والممارسة العملية ، الذي يجعل من هذه الممارسة ، المعرفة الحقيقية والنظرية الصائبة ·

وقد انتبه رواد الثورة الثقافية الى هذا الجانب وكان من جملة التوجيهات ضرورة ما سموه « بتربية المثقفين ، أو اعادة تربيتهم على أساس أهداف الثورة الثقافية البروليتارية ·

وباختصار ، فقد بينت هذه الثورة الامكانيات الجسيمة لطبقات كانت ولا تزال في معظم المجتمعات محرومة من التعبير عن ذاتها بنفسها ومن امكانية خلق ثقافتها الخصوصية نظرا للقمع الشامل التي تسلطها عليها الطبقات الحاكمة ، فكما قال ماو : « ان الجماهير هم الابطال الحقيقيون ، أن الجماهير الشعبية لها قوة خلاقة لا تحد ان الشعب والشعب وحده ، هو الطاقة المحركة ، هو مبدع التاريخ الكونى » والمشكل بالنسبة الينا واضح : اما أن نساهم في انعتاق الجماهير وفي أخذها على عاتقها الثقافة واما أن نسترسل في عملية الحضانة والوصاية اتجاهها ونتمسك باحتكار الثقافة والفكر ·

وهذه القفزة التي ندعو اليها لا تأتي الا بمقاومة صريحة للفكر النخبوي والتقنقراتي وبالتفكير الذي يحاول خلق درجات في ميدان التعبير وبأن يضفي على ثقافة الشعب صيغة السذاجة والفلكلورية المحضة ·

وهذه القفزة الكيفية منوطة بالربط الضروري ما بين النظرية والممارسة العملية وبالتزامات دقيقة تجاه طبيعة المجتمع والحكم في المستقبل ، انها

منوطة كذلك بالنسبة للمثقفين البرجوازيين الصغار بعملية انتحار اديولوجية وطبقية تؤهلهم الى الانغماس في بحر الجماهير والى اعتناق اديولوجيتها الثورية٠

**الحركة الطلابية الاوربية : نقد الثقافة والجامعة البرجوازية**

نتطرق الان الى التيار الاخير في هذا العرض وهو التيار الطلابي في اوربا والذي كان قد ادى فيما أدى الى حوادث مايو ١٩٦٨ في فرنسا وقبلها في المانيا وايطاليا الخ ٠٠٠ ومن الملاحظ هو ان هذا التيار قد اتسم بطابع التفكير والخلق الجماعيين ٠ فالانتاج الضخم لهذا التيار لم يكن انتاج مفكرين بارزين او كتاب او فنانين مشهورين ٠

وبعد أن استطاع الحكم البرجوازي أن يقمع هذه الثورة ، أخذت الجامعات الاوربية ودور النشر الرأسمالية والاوساط المثقفة تنهال على حصيلة هذه الاحداث من أجل تقييمها وتاريخها والاستحواذ على اكتشافاتها ٠

ولكن رغم هاته المحاولات ، فان أفكار مايو ٦٨ قد كونت حصيلة مستقلة تمام الاستقلال عن الاديلوجية المهيمنة في الغرب الرأسمالي ووضعت الاسس الحاسمة لانبعاث فكر جديد وثقافة جديدة ٠

ويصعب علينا أن نلخص كل الافكار الجديدة التي طرحت في كل الميادين والقطاعات لانها تصدت الى جميع معطيات ووقائع المجتمع والثقافة والهياكل السياسية والاديلوجية ٠ لهذا سنقتصر على بعض العناصر الاساسية ٠

فمما تطرق الى نقده الطلاب الاوربيون الفكر والثقافة الغربية البرجوازية ٠ فوضحوا أن مشكل الثقافة الغربية ليس كما يزعم البعض مشكل أزمات نفسية وأخلاقية وحضارية او أزمة التخاطب واللغة الخ ٠٠ بل هو واقع السيطرة الاديلوجية التي تمارسها البرجوازية في كل الميادين وعلى كل أجهزة التعبير والتواصل ٠ فليس من الممكن في هذا الوضع أن تتبلور ثقافة جديدة الا اذا تم تحطيم الجهازالرأسمالي٠

وبين الطلاب والمثقفون المتمردون أن جل الحركات الادبية والفنية والفلسفية التي ظهرت في الغرب في هذا القرن لم تأت بشيء جديد فيما يتعلق بانعتاق الثقافة والفكر من دائرية الاقتصاد الرأسمالي ومن قبضة الاديولوجية البرجوازية ، فكل هذه الحركات ولو كانت تبين في بعض الاحيان ولا سيما في بدايتها نوعا من التمرد والخاصيات ، لا تلبث أن تندمج في منطق الجهاز العام وفي مداره وتصبح جزءا لا يتجزأ من الجهاز نفسه ٠

فالمشكل ليس مشكل ايجاد طرق جديدة للتعبير والتفكير (السريالية ــ القصة الجديدة ــ مسرح العبث ــ الشعر الحرفي أو البصري الخ٠٠) بل هو تحديد قاعدة انطلاق التجارب الجديدة واختيار طرق المواصلة والتبليغ والالتزام بطبقة معينة ٠

وبما أن الحركة الطلابية استطاعت ان تحرك الطبقة العاملة ولا سيما في فرنسا حيث شن ما يقرب من ١٠ مليون عامل الاضراب أبان الاحداث) أخذ العمل الثقافي والكفاح الاديولوجي اتجاها حاسما وطرحت المشاكل الحقيقية ، ولنعطي مثالا حيا عن

هذا الارتباط وعن مفعوله اخترنا ما قام بـه طلبة وفنانو مدرسة الفنون التشكيلية بباريس · تقرأ في مقال عن نشاطهم : « منذ احتلال مدرسة الفنون الجميلة ، أخذ الطلاب والفنانون التقدميون يسخرون كل امكانياتهم من أجل الكفاحات التي يخوضها العمال يوميا ، ان هذا العمل ليس عمل مخبر : فالعمال يأتون الى المدرسة بالشعارات ، ويناقشون مع الطلبة الفنانين وينتقدون الملصقات التي انتجت ثم يوزعوها في الخارج ، وعند مدخل المعمل يقرأ ما يلي : ان العمل في المعمل الشعبي لهو مساندة ملموسة للتيار العظيم لاضرابات العمال الذين قد احتلوا المعامل من أجل مقاومة الحكم الا شعبي ، فكل فرد يسخر قدراته من أجل كفاح العمال ، يعمل في الواقع لنفسه ، لانه ينفتح ، بالممارسة العملية على حكم الجماهير الشعبية التربوي ·



هكذا فان أسلوب العمل البرجوازي قد انقضى : فمشاريع الملصقات تحقق جماعيا بعد تحليل سياسي للاحداث اليومية ، او بعد مناقشات عند أبواب المصانع ، ثم تعرض هذه الملصقات على الجمعيات العامة في آخر النهار · وهكذا نقرر هل الفكرة السياسية صائبة ؟ هل الملصقة تبلغ الفكرة جيدا ؟ بعد ذلك فقط ، تنجز المشاريع المقبولة من طرف فرق تعمل بدون انقطاع ، لیل نهار · ان الكفاح مستمر ، وشيئا فشيئا تنشر الافكار السديدة بطريقة هذه الملصقات · والطلبة والفنانون التقدميون يعبئون انفسهم لخدمة كفاح الشعب ويتعلمون على يده ويصححون أفكارهم باتصالهم مع الجماهير »· وخلال ثورة مايو ٦٨ تعددت مثل هذه التجارب في مختلف الميادين ولا سيما في ميدان المسرح والشعر والصحافة والتعليم ،

والشيء الذي يلفت الاهتمام والذي أكد عليه الجميع أكان ذلك أثناء الاحداث أو بعدها ، هو ان ثورة مايو مكنت الجماهير الطلابية والعمالية من ممارسة الحرية والكلمة ، وهذه الممارسة اظهرت للجميع الطبيعة القمعية للمجتمع الرأسمالي ومجتمع الاستهلاك ، وبينت كذلك ان كل ما كان يسمى ثقافة كان في الواقع أداة ارغام على الصمت وعدم المسؤولية في التعبير ·

## نقد الجامعة البرجوازية

ومن جهة أخرى تصدت الحركة الى الجامعة لنقدها ولتوضيح مدى ارتباطها هي الاخرى بالهيكل البرجوازي القمعي ، ومن أحسن التحاليل التي يجب الرجوع اليها دراسة كتبها الطلبة الالمان يمكن تلخيصها كما يلي :

- ان الجامعة التي تدخل في اطار الجهاز الرأسمالي لهي جامعة طبقية ·
- ان العلم الذي يلقن في الجامعة (عكس ما يزعم العلماء والمفكرون البرجوازيون) هو علم سياسي محض : انه يناقض الثورة ·
- ان وضع الطلبة في هذه الاحوال ملتبس جدا، فانهم يجدون أنفسهم في وضع كلاب الحراسة للاديولوجية البرجوازية ويشاركون في الواقع ، أرادوا ذلك أم لم يريدوه في أهداف الجامعة السياسية ·

واذ نلح شيئا ما على هذا النقد فلنشير لاهميته بالنسبة الينا ، ولا سيما وان جامعات الدول التي كانت مستعمرة من قبل ، ليست في الواقع الا صورا مبتذلة للجامعات الغربية التي بين الطلبة الاوربيون مدى لا عقلانيتها وطبيعتها الطبقية والاديلوجية القمعية ·

ويمكن القول في الاخير ان هذه الافكار ، وضعت في الواقع ارضية جديدة ونوعا من البرنامج – الميثاق لحوار حقيقي ما بين الغرب المناضل الحي والشعوب الاخرى . فبقدر ما نحن نلح على استحالة أى حوار مع الغرب الامبريالي المهيمن بقدر ما نرى في الافكار التي ذكرناها قاعدة ثمينة لحوار جدي ومسؤول يساهم بصفة فعالة في بناء مشروع الثقافة العالمية المتحررة .

## خلاصة

سوف نكتفي بهذا القدر من الامثلة .

والمقصود على كل حال كان هو تبين ضرورة الخروج من مناهج ومصطلحات ومتع فكرية كانت ولا تزال تؤثر بمغناطسيتها الخارقة على فكرنا . والمقصود كذلك هو توضيح وتحديد الاسس الجديدة التي يمكن أن نبني عليها انطلاقتنا الجديدة وطموحنا الى ثقافة متأصلة بواقعنا التاريخي والملموس ومنفتحة بثقة تامة على التيارات التحررية ، هذه الثقافة التي ستعلن ميلاد الانسان المغربي العربي الجديد ، الواعي والخلاق .

وهذا لا يتطلب فقط التحليلات والمناظرات والمحاضرات ، بل يستلزم التعبئة والشجاعة الفكرية وخوض بحر الجماهير العنيف والمضىء .

لهذا سنتمم عرضنا بكلمة لايمي سيزير حيث قال : « دورنا نحن ليس هو أن نضع مسبقا تصميما **لثقافة المستقبل ، ان دورنا متواضع ، ويكمن في الاعلان عن مجيء من له الجواب : الشعب ، شعوبنا التي ستتحرر من قيودها ، وعبقريتها الخلاقة عندما تنعتق من أسباب التجميد .**

**اننا اليوم في حالة بلبلة فكرية ، ودورنا أن نصرح : حرروا ذاك الجبار الذي يمكنه وحده أن يحول البلبلة الى تكوين جديد ، هذا التكوين الذي يستحق وحده ان يوصف بكلمة ثقافة .**

**اننا هنا لنقول ونكرر : اعطوا الكلمة للشعوب ، دعوا الشعوب تدخل خشبة التاريخ الكبيرة .** »



## شبيباتنا فى افق الثمانينات ( لمحمد الحبابـي )

نقد : ابراهام السرفاتي

ليس من اليسير على الانسان انتقاد كتاب أحد الاصدقاء ، صديق بأعمق ما تحمله الكلمة من معاني، جمعته به المعركة المشتركة ، ونفس الجهود ، ونفس الافكار التي لا زالت ـ فيما يخص الهدف الاساسي ـ هي نفسها الى اليوم · الا أن الشغف بالتقنية لم يمنع كاتب هذا المقال من تجاوزها ، وهكذا فأنا بين تيارين ذاتيين يتجاذباني : الصداقة ووحدة الهدف من جهة ، والوعي من جهة أخرى بأن سبل وكيفية بلوغ هذا الهدف لا يمكن أن نجدها في التحليلات التقنية ، ولا في حب التقنية ، « التكنوفيلية »كما يقول العروي ·



وهذا أكبر عيب في كتاب الحبابي ·

انه صك اتهام ، بدون شك ··· وصك اتهام عنيف · لقد وصف بواسطة الارقام وبكيفية لا غبار عليها المأزق الحالي والركود الذي يتردى فيه الاقتصاد· بل أكثر من هذا ، لقد خصص صفحات للحديث عن مستوى الاستهلاك ، وتحدث عما لا تستطيع الارقام تبليغه :الجرم المرتكب ضد اطفال هذاالبلد،هؤلاءالاطفال الذين يتعرضون في سن الثالثة ، السن الحاسم للنمو ، لمرض الكساح وآفة سوء التغذية · ويعتمد المؤلف في ذلك على بحوث المنظمة العالمية للصحة ، هذه الدراسات التي تقول ، فيما يخص وضعية الاطفال من ٦ أشهر الى ٣ سنوات : « هنالك حوالي ١٥ ٪ من الاطفال يهددهم الموت نتيجة سوء التغذية ، كما أن نسبة ٣١٪ منهم هي التي تتوفر فقط على الغذاء الكافي »·

وهو كذلك نداء موجه الى الشباب ورجال التقدم ، يحثهم على الثقة بالنفس وعدم فقدان الامل · كما نجد فيه التزاما بالمبادىء الاولية ، خصوصا عندما يذكر المؤلف الشباب بالمعركة التي لا زالت حديثة العهد والتي هزمت الحماية ، وبالابطال الذين أصبحوا رمز هذه المعركة ·

لكن هنالك عبرة أخرى يجب استخلاصها من هذا الماضي ، وهنا يجب القول أنه اذا كانت احدى مزايا الحبابي أنه بقي متشبعا بالايمان بالشعب وبالشباب ، فانه لم يستخلص الدروس من فشل جيل مثقفينا ·

وليست « المرارة الكبيرة » التي يعبر عنها عبد

الرحيم بوعبيد في مقدمة الكتاب هي التي يمكن أن تقوم مقام نقد ذاتي . فاذا كان جيل المثقفين ، الذي لم يستطع فهم مشاكل الاستقلال في الوقت الذي كان يجب أن تفهم فيه ، يريد متابعة المعركة ، فان أول واجباته هو الاعتراف بأخطائه وهفواته – أي أخطائنا وهفواتنا – واستخلاص دروسها .

وسواء ساهم هؤلاء أم لم يساهموا ، فان النضالات التي سيكون من الضروري خوضها من طرف الجماهير والشباب ستنتهي لا محالة لنفس الهزائم ونفس المرارة ، اذا لم تستطع الاستفادة من عبر الهزائم السابقة .

وهذا بالفعل ما يمكن أن يقود اليه كتاب الحبابي . فالجزء البناء من الكتاب مطبوع بالاستيلاب ازاء التقنية . ولقد أكد العروي على هذا الاستيلاب لما وصف « التقنوفيلية » (حب التقنية) . فالتقنوفيلي ، يقول العروي « ينكر علنيا مميزاته الخاصة ، فالغرب بالنسبة له هو التقنية دون جمل ودون مضاعفات سوسيولوجية . فهو يعتقد بوجود تطور عام للانسانية دون أن يعيد النظر في أهداف هذا التطور ولا في سوابقه ، بل يعتقده تطورا له مقاييس كمية ، يطرح بنفسه وسائل تحقيقه ، وهكذا يصبح كل شيء مشكلا تقنيا : الاقتصاد ، السياسة ، حتى الحياة الخاصة . »

ولن نعيد الحديث هنا عن عواقب هذا الموقف ، التي أسهب العروي في الحديث عنها . وسنكتفي بالتذكير بالاستنتاج ، الذي اكدته ودعمته نكسات البورجوازيات الصغرى العربية : ان الوعي التكنوفيلي « يحمل في طياته بوادر حل عسكري » . اما عن ما انتهى اليه هذا الحل العسكري ، فذلك ما تؤكده التجارب الواضحة لمختلف انظمة بورجوازية الدولة بالعالم العربي .

اذا فمن الضروري هنا القيام بالنقد ، ولو بصفة مختصرة للبراهين الاساسية التي ينطلق منها الحبابي والتي تشكل أساسا لتقنوفيليته . وهذه البراهين تعتمد على مفهوم الثورة العلمية والتقنية . ان مفهوم « الثورة العلمية والتقنية » هو الخليط الذي مكن مرتزقة الفكر واختصاصيي ماركسية الدول الاشتراكية الاوروبية والجامعات الغربية من «رادوفان ريشتا الى « غارودي » والى الايديولوجيين الوقحين للامبريالية من ريمون آرون الى جان فوراستييوهرمان كاهن – من الالتقاء حول نفس المديح والتسبيح بحمد الارتزاق الفكري . ان مفاهيم المجتمعات « الصناعية » وما قبل الصناعية » وعهد المسيرين ، والهياكل التقنية ، والبيروقراطية التقنية ، ما هي الا الضباب الذي يبرر الرأسمالية ، ليجد على ظهر الشعوب ، امكانيات للتفاهم بين بيروقراطيي المجتمعات المدعوة بالاشتراكية والرأسمالية الاوروبية ، لصالح «أصحاب الياقات» .

فالعالم الثالث ، كما يسمونه ، يمكن أن تحل مشاكله ، حسب أكثرهم « انسانية » ، أمثال بيرووغارودي ، باقتصاد الصدقات والعطاءات ، هذه السياسة التي ستحل ، حسب مشروع روجرز ،مشكل « اللاجئين » الفلسطينيين .

نحن متيقنون أن الحبابي لا يرمي الى نفس الاهداف ، لكن كتابه يشكل ـ موضوعيا ـ عملية اضعاف ايديولوجي ازاء هذه المناورات ·

وأوضح هنا كيف حاولت في أحد النصوص ، التي أوردها الحبابي ، أن أوضح التعارض التام بين مفهوم مجتمع المبدعين كما يتبين من خلال أعمال ماركس في اسس نقد الاقتصاد السياسي ، والمفاهيم الضبابية لايديولوجيي الامبريالية ·

وقد أكدنا كذلك ـ وهذا واضح بالنسبة للشعوب التي تعاني من الاستغلال الرأسمالي والامبريالي والتي تكافح ضدهما ـ بأن المستقبل لا يمكن أن يكون في مجتمع معتمد على التبذير في أحد قطبيه وعلى الحياة الطفيلية في قطبه الآخر ، كما يحلم بذلك هرمان كاهن وجان فوراستييه ·

ولنذكر هنا بأن ما يسمى بالثورة الصناعية قد اعتمد ، في مرحلة الرأسمالية المتصاعدة ، على ثلاثة قرون من النهب الاستعماري للعالم ، وأن الانفجار التقني راجع بنفسه الى تراكم الثروات التي تمت بهذا الشكل ·

ان مرحلة تعفن الرأسمالية التي أصبحت نظاما عالميا للامبريالية قد رفعت الى مستوى لم يسبق له مثيل مستوى التناقض بين مقدرات المعرفة والابداع لدى القوى المنتجة والانحطاط والجرائم والعراقيل التي يخلفها هذا النظام ·

من هنا ، وبواسطة مسلسل جدلي ، لا يستطيع المثقف البورجوازي ادراكه ، تخلق بذور تحطيم الامبريالية من تعفن الامبريالية ذاتها ، تخلق شروط نفيها وتحويلها الى نقيضها ·

وما هذه البذور الا تلك القوى المنتجة الاكثر استلابا : البروليتاريا ، في الطليعة ، الذي عرفه ماركس منذ ١٨٤٢ ، والشعوب المقهورة التي حياليين ميلادها ·

هذه القوى الاجتماعية هي التي تواكبها ، كبوادر ، الطاقات العلمية للمجتمع الجديد ، المجتمع الاشتراكي الذي يجسم حكم المنتجين ، لا تفنوقراطية اصحاب الياقات البيضاء ·

ان « الثورة العلمية والتقنية » التي نلمس بوادرها ، لن تكون الا انفجار هذه القوى الخلاقة المنعتقة من قيود الرأسمالية والثقافة البورجوازية ·

يستنتج من هذا أن الفلاح الفيتنامي والفدائي الفلسطيني يشكلان ـ وبصفة مغايرة تماماللاختصاصي الامريكي ذي الرأس البارد ، الذي يعمل في مؤسسة أمريكية ـ بذور رجال الغد ·

مثال واحد : فالحبابي يتحدث باسهاب ، وفي صفحات ملؤها الاعجاب ، عن التقدم التقني في الميدان الفلاحي · هذا التقدم الذي تدعي الامبريالية الامريكية تحقيقه في الهند عن طريق عملية واسعة تسمى « الثورة الخضراء » ، اين هي النتائج ؟ ان الامر لا يتعلق في الحقيقة ، بالنسبة للامبريالية ، الا بعرقلة وتأخير كل « ثورة حمراء » التي تشكل الرد الوحيد على المجاعة والنهب ·

أما فيما يخصنا ، فبامكاننا ومن واجبنا ، وأكثر

من أي وقت مضى ، تصفية حسابنا مع سراب التقنوقراطية . فلقد عرف هذا السـراب عصـره المجيد في سنوات ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠ . ولم يكن فشلـه راجعا فقط الى التقاء القوى الخارجية والرجعية الداخلية ، ولكن أولا الى عيوبه الداخلية ، هل نعيـد عملية الحرث ؟ هل نعيد مشروع محمد الفـاسـي ؟

هل نعيد تجربة لجان التصميم الخماسي ؟ اذا ...!

على العمال والفلاحين والشباب المنبثق عـن الجماهير الكادحة ، وفي غمرة المعركة التي ستحررهم من القهر ، أن يصنعوا ظروف تفتحهم الخلاق في كل المجالات الانتاجية والثقافية ، وأن يرسوا محل هياكل الدولة الاستعمارية الجديدة ، بكل أشكالها الاقطاعية أو التقنوقراطية وفي كل الميادين ، حكم الشعـب .

الى الحبابي ، الذي لازال يحلم بتربية تنزل مـن فـوق (ومن طرف من ؟ ) لتكوين شبابنا وجعلـه يفكـر « تفكيـرا عصريا » ، نذكر بما كتبه ماركس في موضوعاته عن مادية « فويرباخ » البورجوازية :

« ان المذهب المادي الذي يريد اعتبـار البشـر نتاجا للظروف وللتربية وأن التحولات التي تطرأ عليهم ناتجة عن ظروف أخرى ، وتربية أخـرى ، ان هذا المذهب ينسى أن البشر هم بالضبط الذين يغيرون ظروفهم وأن المربي هو بنفسه في حاجة الى التربية . ولهذا فهذا المذهب ينتهي الى تقسيم المجتمع الى فئتين احداهما فوق المجتمع (كما نجد ذلك عند روبرت أوين مثلا) .

ان مطابقة تغير الظروف مع النشاط البشـري أو التغيير الذاتي لا يمكن أن تقدر وتفهم الا بوصفهـا ممارسة ثورية . »

واننا لمقتنعون أنه في اطار هـذه الممارسة الثورية سنلتقي من جديد بأولءك المثقفين البورجوازيين الصغار الذين يبقون ، مثل الحبابي ،مرتبطين عضويا بكفاحات وألام الشعب ، لكن عليهم أن يصححوا تفكيرهم بأنفسهم ، ان جيل الكهول من عمال وفلاحين وحرفيين الذين عانوا جسديا من الحرمان في عهـد الاستقلال ، ومعهم الشباب المتعطش الى المعرفة والابداع ، سيعرفون من جهتهم ومن خلال نضالهـم الملموس أن يبلوروا الخط الصحيح .





# دراسة تحليلية عن الوضع الاجتماعي فى منطقة ظفار

الجبهـة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتـل

## التركيب الطبقي والحالة المادية



**اولا : صفة المجتمع وموقعه من التاريخ :**

هذا المجتمع يكاد أن لا تكون له صفة مجتمعيـة واحدة ومحددة نستطيع ان نسبغها عليه بشكل مطلق دون ان نكون قد جافينا الحقيقة وتجاوزنا الـواقـع . فالتاريخ عرف عبر مسيرته الطويلة خمسة أنواع اساسية من المجتمعات البشرية الا ان مجتمعنا هـذا ينفي واقعه ان يكون معبر بشكل مطلق عن أي نـوع من هذه الانواع الخمسة للمجتمعات وهذا النفي عائد في نظرنا لسبب جوهري واحد وهو صغـر حجـم المجتمع ، أي قلة السكان فيه . الا اننا مع هذا نستطيع أن نقول ان هذا المجتمع يمثل مرحلة وسطى واقعة بين النظام الرقي والنظام الاقطاعي فـلا هـو بالمجتمع الاول ولا هو بالثاني كما انه في الوقت ذاته لا يقع خلفهما او بعدهما ، انه مجتمع حرفي زراعـي بحت ، ليس به أي مظهر من مظاهر النشاط الاقطاعي او الرأسمالي سواء في مجال التكديس الرأسمالـي او التصنيع والاستثمار ولا حتى الرأسمال التجـاري بالمعنى التقليدي والمفهوم . ان صفة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفني صفة شاملة لكل الافراد والفئات الحرفية في هذا المجتمع .

**ثانيا : التركيب الاجتماعي :**

الفواصل الطبقية في هذا المجتمع غير واضحة المعالم فهو يقترب في تركيبه الاجتماعي من الصـورة التي عرفتها المجتمعات البدائية أي المجتمعات اللاطبقية نظرا لشدة تخلفها وبدائيتها وصغرها . الا أن هـذا المجتمع يختلف عنها من حيث وجود الملكية الفردية أو الحكومية لوسائل الانتاج مما افرز فيه فواصل طبقية باهتة بين الفئات يمكن تسجيلها على النحو التالي :

أ ـ الطبقة الوسطى : وهي طبقة ناشئة ومتخلفة اقتصاديا وادبيا اذا ما قيست بالمعنى المفهوم للطبقـة الوسطى كما انها محصورة ولا تستقطب الا نسبـة بسيطة من الشعب وتتألف من :

١ ـ فئة التجار ٢ ـ موظفو الحكـومـة ٣ ـ المقربون واصحاب المحسوبيات .

## ١ ـ فئة التجار

هذه الفئة بسيطة العدد جدا اذا ما قيست بالمجموع الكلي للسكان واذا كان في مقدورها حاليا ان تغطي جاجات الاهالي الاستهلاكية واذا كنا نلحظ بوضوح الركود البادي في حركة البيع والمعدل التافه لما يستطيع التاجر ان يبيعه في اليوم فان مرد ذلك ليس بالطبع الى كثرة عدد المتاجر او تضخم القطاع التجاري بين السكان بل هو في الانخفاض المروع للقدرة الشرائية عند الاهالي وفي غلاء المواد الاستهلاكية ذاتها · ان هذه الفئة تنتمي كلها وبدون استثناء الى فئات (التجار الصغار) بكل ما تحمله كلمة الصغار من معنى ودلالة ان دورها الاقتصادى هو في جوهره دور تكميلي مختصر لا يعدو دور (السمسرة) والوساطة بين البرجوازية التجارية في عدن وجمهور المستهلكين هنا هذا الجمهور الذي يصح مفروضا عليه كمستهلك ان يدفع الربح مرتين بدلا من ان يدفعه مرة واحدة · ان هذه من التجار الصغار نظرا لما تكابده من ضغوط اقتصادية خانقة واخذا بواقعها المادي الهزيل تشكل في غالبيتها حليفا طبيعيا للثورة وقواها مع الاخذ بعين الاعتبار ان غاليتها تعتبر نفسها بدون شك أكثر حرية بملكيتها ·

## ٢ ـ موظفو الدولة

هذا القطاع الصغير من المجتمع يشكل جهازا بيروقراطيا على نحو مصغر الا انه جهاز منفلش تماما ، تشله الرهبة ومركزية الحكم الفردي الاورستقراطي ويربك أعماله تداخل المسؤوليات وانعدام التنظيم وعدم استقرار القوانين والاحكام وهو نظرا لاهميته في فرض ارادة السلطة وتنفيذها! نراه يتمتع بقدر معقول نسبيا من الدخل المنتظم وان كانت غالبية من هؤلاء الموظفين تترك اعمالها في آخر كل يوم وهي لا تثق او تطمئن الى انها ستعود لتباشرها في صباح اليوم التالي ولعل صفة التنفيذية المطلقة التي تصبغ كل اعمال هذا الجهاز مهما كانت تافهة وصغيرة هي التي تمد الكثيرين منهم بثقة الفئات الكادحة وتفتح معهم فرص التحالف مع هذه الفئات ومع قضاياها ·

## ٣ ـ المقربون وأصحاب المحسوبيات :

وتشكل غالبية هؤلاء ان لم نقل كلهم طابورا خامسا مهترئا وغبيا ، يتبخر السخف والغباء ونتانة الخيانة من كل مسام لشعرة في اجسامهم ، انهم يعطون عن أنفسهم صورة كاريكاتورية مضحكة لاعمال الجاسوسية وتنظيمات الطوابير الخامسة ، انهم غربان سوداء جمعتها على جيف العمالة المصلحة المادية الضيقة لتلتف على الرائحة النتنة ، تنعق في صخب وفوضى وهي تقتتل على مواضع الدود والصديد · ان هذه الفئة هي أصغر الفئات الثلاث وأقلها تأثيرا في سير حياة المجتمع الاقتصادي فهي بالضبط حفنة طفيلية تعيش على حساب حياة الاخرين

هذه هي الطبقة الوسطى في المجتمع بشعبها الفئوية الرئيسية الثلاث · ولقد صنفنا هذه الفئات الثلاث تحت اسم الطبقة الوسطى معتمدين في ذلك المقياس الاقتصادي والمادي فقط (اي مستوى المعيشة) لانه يشكل المقياس الاساسي السليم ان لم يكن الوحيد

في التصنيف الطبقي للفئات ايا كانت القيم والمستويات الاخرى لهذه الفئات متعاضدة او متفاوتة .

وليس من العسير في شيء ان ندرك مدا عمق واتساع التفاوتات والفروقات الاخرى الموجودة بين فئات الطبقة الوسطى بالذات في هذا المجتمع ويكفي ان ندرك ان وحدة المصلحة الطبقية نفسها غائبة أو منتفية عن هذه الطبقة اختفاء يكاد يكون كليا نتيجة لوجود مستويات متفاوتة في درجة الوعي والتفكير وميول وولاءات متنافرة . كما أن وجود التقارب الطبقي الكبير في المجتمع قد ساعد كثيرا على وجود مثل هذه الظاهرة من تراخي في الولاء الطبقي واهتزاز في العلاقات والصلات الطبقية أو حتى الفئوية .



## ب ـ الطبقة الكادحة :

هذه الطبقة هي الغالبية الساحقة من الشعب وهي التي تتحمل شأنها شأن كل طبقة تحتية كادحة كل اعباء الانتاج الاجتماعي والخدمات الشاقة المرهقة ، واذا كان العمل الانتاجي في هذا المجتمع محدودا ومحصورا الا ان التخلف الكبير في وسائل الانتاج وبشاعة الاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه الدولة على الطبقة القائمة على هذه الوسائل قد ضاعف كثيرا من عبء العمل الملقي على هذه الطبقة وانهكها ويحاول الحكم الفردي الذي يمارس تجاه هذه الطبقة دور مالك الرقيق والاقطاعي الرأسمالي في آن واحد يحاول جاهدا ان يوسع امتدادات هذه الطبقة في المجتمع ويزيد في مساحتها وذلك عن طريق الخنق الاقتصادي والكبس الذي تمارسه الدولة على الطبقة الوسطى مع العمل على ابقاء الطبقة الكادحة كلها عند مستوى (الدخل الكاف) دائما وذلك لان هذا التصرف يضمن لها ـ أي السلطة ـ استمرار الدخل الناتج عن الاستغلال على شكل ضرائب تعسفية ورسوم جمركية وغيرها بالاضافة الى ان هذا يخدم اهداف سياسية واجتماعية اخرى سنأتي الى ذكرها . واذا كانت سياسة الحكم لم تنجح في توسيع امتداد الطبقة الكادحة عن طريق الكبس على الطبقة الوسطى وعلى التجار بالذات فان ذلك عائد بالدرجة الاولى الى تدخل عنصر استثنائي خارجي وهو (الهجرة) . فهذا العنصر لعب بالنسبة للطبقة الكادحة وحدها دورين بارزين أو دورا مزدوجا فهو بالاضافة الى عمله هذا ـ أي الحفاظ على الطبقة الوسطى من التساقط عمل ايضا على تلقف الكثير من العناصر المتساقطة من الطبقة الكادحة الى تحت أي الى البطالة والتسول مبقيا بذلك على صنعتها الطبقية السابقة او دافعا اياها الى فوق .

واذا نحن اردنا أن نصنف الطبقة الكادحة فئويا فان بامكانها ان نثبتها كما يلي :

١ ـ العمال ٢ ـ الفلاحين ٣ ـ الصيادين ٤ ـ الرعاة .

### ١ ـ العمال :

ونقصد بهم عمال المباني والطرق والحراسة والعمال الزراعيين .

ومعروف أن كل هذه الاعمال تمارس في نطاقات ضيقة جدا وباساليب ووسائل جد بدائية ، الا أن هذه الفئة بالذات هي الفئة الصاعدة في المجتمع أي الفئة المتطورة من حيث هي

فئة الى أن تشكل في السنين القادمة طبقة متكاملة ومتميزة أكثر من غيرها يدلنا على هذا نوعية المستقبل الذي ينتظر العمل في المجالات السابقة والاتجاه التاريخي للمجتمع نحو مزيد من التعقيد ومزيد من الحركة التناقضية • واذا كان المجتمع اليوم يتصف بالتقارب الطبقي الكبير أو شفافية الفواصل الطبقية واذا كانت دعوة التقدم نفسها تنادي بمثل هذا التقارب وتعمل عليه الا انه من المعروف أيضا أن التقارب الذي ينتج عن التقدم والرخاء الاقتصادي الشامل يختلف كليا ونوعيا عن التقارب الذي ينتج عن شمول التخلف وجمود الطبقات عند مستوى معين • ومن الحتمى عندما تزال العوائق والموانع المصطنعة الموضوعة أمام حركة التقدم في هذا المجتمع من الحتمي ان تتخذ من الطبقات طريقها التاريخي الديالكتيكي نحو الظهور والتميز •

## ٢ ـ الفلاحون :

هذه الفئة استطاعت السياسة الاقتصادية للسلطة أن تجعل منها فئة جامدة تماما ان لم نقل هابطة على الرغم من أهمية هذا المجال المعيشي والانتاجي للمجتمع وعلى الرغم من حيويته بالنسبة لحركة التطور • وتعاني هذه الفئة منذ سنين بعيدة مديدة من أثقل انواع الضغوط الاقتصادية والخنق المادي بقصد تحطيمها وتجميد توسعها الطبقي وبقصد الحيلولة دون ان يتحول هذا المجال الرئيسي الى متنفس اقتصادي او مسبب لتلطيف مستوى المعيشة • وبالاضافة الى أن الفئة تميل تحت وطأة سياسة الخنق والضغط الاقتصاديين الى الهبوط والتساقط فان هناك شلة قليلة من أصحاب الملكيات المتوسطة أو (الاقطاعيين الصغار) تساعد بشكل او بآخر على أن تأخذ هذه السياسة مداها وتتخذ طريقها المرسوم والامثلة على الفلاحين الصغار الذين سلموا اراضيهم لامثال هؤلاء تحت شتى أنواع الضغوط الاقتصادية (ديون ، قروض ربا) التي تمارس في خبث وجشع امثلة كثيرة ومتنوعة • ان هناك نوعا من اللقاء سواء كان هذا اللقاء آليا أو مقصودا بين سياسة السلطة في تحطيم الملكيات الصغيرة وارهاق الفلاحين وبين جشع النفر من الاقطاعيين الصغار وتطلعهم الى توسيع ملكياتهم والارتفاع الى مستوى الاقطاع الفعلي وعلى الرغم من هذا فان فئة الفلاحين فئة وان كانت جامدة أو متقهقرة بشريا في الظروف الراهنة الا انها ولا شك ذات مستقبل طبقي واقتصادى وذلك لان المجال الزراعي يشكل العمود المركزي في امكانيات البلاد الاقتصادية ومدخراتها كما أن المستقبل الذي ينتظر الطبقة العاملة بصيرورتها الطبقة السائدة اجتماعيا ليس بالمستقبل الرأسمالي او الصناعي المتقدم في سنوات قليلة بحيث يستطيع مستقبل هذه الطبقة ان يملا على المجتمع كل او معظم حياته ونشاطاته الاجتماعية واذا كانت المرحلة الاقطاعية لم ولن تتحقق بالمعنى المفهوم في هذا البلد نظرا لصغر حجم المجتمع وصغر المساحات الزراعية فان مرحلة من الملكيات الفردية الصغيرة لمعظم الاراضي الزراعية لابد ان تؤكد نفسها وان تلعب دورا تقدميا في حياة

المجتمع القادمة والى سنوات كثيرة ·

**٣ ـ الصيادون**

هذه الفئة الكادحة هي أكثر الفئات على الاطلاق تماسكا وتجانسا وهي على قلتها تحمل على كاهلها كل اعباء الانتاج في هذا المجال وبوسائل جد بدائية ومرهقة ولقد كان من الطبيعي ومن المتوقع أن تحقق هذه الفئة لنفسها شيئا من النمو والتحسين في حياتها المادية نظرا لغني هذا المصدر المعيشي مع قلة المشتغلين فيه الا أن النتيجة جاءت عكسية على طول الخط فبالرغم من الجهود المضنية المتراكمة وبالرغم من الصراع والمقاومة لم تستطع فئة الصيادين أن تحقق اي تقدم في حياتها بل تقهقرا وضيقا أكثر وهذا عائد في اصله الى سببين رئيسيين :

اولهما بدائية وسائل الانتاج وتخلفها ·

وثانيهما الاستغلال الاقتصادي البشع الذي تمارسه السلطة تجاهها عن طريق ابتزاز قيمة ما يعادل نصف جهدها وكدها بواسطة عدد من الضرائب والرسوم الجائرة ·

وتقاسي هذه الفئة مضافا الى هذا كله اذلالا اجتماعيا ومعنويا تمارسه تجاهها السلطة بل والمجتمع نفسه لاوضاعه القبلية ومفاهيمه العرفية القديمة · مما عزلها عن المجتمع عزلا شبه كامل وضرب على حياتها المسكنة والخضوع · الا ان سير التاريخ وطبيعة قوانين التطور لابد أن تضع حدا لهذا كله ولابد لهذه الظاهرة (ظاهرة العزلة والاذلال المعنوي) أن تتراجع باستمرار بتراجع النظام القبلي نفسه وبتقدم وسائل الانتاج وتطويرها ولسوف تذوب الفئة نفسها مستقبلا ضمن الطبقة العاملة نتيجة للتطور المنتظر تاريخيا بالنسبة للانتاج في المجالين ·

**٤ ـ الرعاة**

ونقصد بهم هنا رعاة البقر والابل والاغنام أي سكان الجبال والبادية وهذه الفئة الكادحة هي الاكثر اتساعا وانتشارا كما انها في الوقت ذاته اكثر تخلفا وبدائية · هذا التخلف والبدائية التي تحاول السلطة دائما ان تبقى عليهما في هذه الفئة بشتى الوسائل الاقتصادية وبالذات فيما يخص سكان الجبل هادفة من وراء ذلك الى عزلهم عن باقي جسم المجتمع وعزلهم بالتالي عن الحياة السياسية ومشاكل المدن كما ان ابقاءهم على مستوياتهم يمكن ان يشكل عزاء بالنسبة لبقية فئات المجتمع واعلاء نسبيا للمستويات الحضارية عند هذه الفئات · وهذا يحمل لا شك تكريسا وابقاء للتناقض الصارخ بين مستويين حضاريين لحياة مجتمع واحد · حتى برزت الحالة وكان سكان المدن يشكلون طبقة فوقية تباشر الاستغلال المادي لطبقة انزل منها هم سكان الجبال · وما دام بقاء هذه الفئة على المستويات التي هي عليها مرهون ببقاء المستوى الحضاري المتخلف للمجتمع كله وخاصة في مجالات العمل ومرهون ثانيا ببقاء سياسة الحكم الحالي فان المستقبل المعبر عن طبيعة تطور المجتمعات لابد أن ينهي تركيب هذه الفئة نهائيا بانهاء عزلتها عن باقي المجتمع وفتح مجالات العمل الاخرى امامها بحيث تندمج في النصف الثاني من المجتمع مشاركة اياه في اعماله ونشاطه ومشاركا اياها في اعمالها وملكياتها ·

هذه هي الطبقة الكادحة بفئاتها الرئيسية الاربع ، الطبقة المغلوبة ، الطبقة المستغلة (بفتح الغين) الطبقة صاحبة المستقبل لانها ليست صاحبة الحاضر، الطبقة صانعة تاريخ المجتمع والذي منها لابد أن ينطلق اي عمل ثوري حقيقي يستهدف قلب الاوضاع القائمة بكافة مؤسساتها وعلاقاتها القديمة ·

## ثالثا ـ الحالة المادية :

أ ـ السياسة الاقتصادية　　ب ـ الانتاج وانعكاساته

### أ ـ السياسة الاقتصادية

تمارس السلطة على هذا المجتمع الصغير سياسة اقتصادية مخيفة بقصد اخماد روحه وشل حركته وعملا على تسخير ابنائه مطايا ذلولة يركبها الحكام الى اهدافهم التسلطية والترفيهية حتى أصبح البعض نتيجة لاستمرار هذه السياسة طوال السنين التي مرت والتي تقاس بعمر الاجيال أصبحوايحققون هذه الاهداف في بساطة مسلمين في حقوقهم الطبيعية كادحين لحساب غيرهم في صمت ومن غير تذمر · وذلك لان اي نظام مهما كان جائرا وارهابيا اذا استطاع أن يضمن لنفسه عمرا هو عمر الاجيال فانه يستطيع عبر هذا العمر الطويل أن يفرز بسياسته الاقتصادية وحدها جيلا أو مجتمعا ذا قيم ومفاهيم وتقاليد تتناسب مع طبيعة هذا النظام ، تدعم سياسته ادركت ام لم تدرك وتتلقى تصرفاته واحكامه في يسر وبساطة وخضوع · وذلك أيضا لان اسلوب معيشة الناس هو الذي يحدد ادراكهم وليس ادراكهم هو الذي يحدد اسلوب معيشتهم وان الوجود الاجتماعي هو الذي يقرر طبيعة الوعي الاجتماعي وليس العكس · يضاف الى هذان ان السياسة الاقتصادية هنا تستند في اساسها الى قاعدة أو نظرية مشهورة هذه القاعدة او النظرية هي : العمل المستمر الصارم على ابقاء الشعب عند المستوى المادي الذي لا يسمح له بالتفكير في الشؤون السياسية والحقوقية وذلك يتحقق من خلال اغراقه في المشاكل المادية اليومية وشغل تفكيره بالمعضلات البيتية والمعيشية الصغيرة ·

فالرخاء الاقتصادي يشكل حتما خطرا جسيما على الطاعة العمياء · وان سياسة الخنق الاقتصادي التي تمارسها الدولة على كل مجال للانتاج أو وسيلة للعيش هي من أجل خدمة هذا الهدف قبل أي شيء آخر ولنحاول الان ان نثبت هنا اهم ظواهر ومجالات هذه السياسة :

#### ١ ـ الخنق في مجال التجارة

يتمثل الخنق الاقتصادي في مجال التجارة في احكام تعسفية كثيرة أهمها ما يلي :

١ ـ الرسوم الجمركية الخيالية والتي تصل في كثير من البضائع ٤٠ أو ٥٠٪ من سعر البضاعة ·

٢ ـ الزيادات المعتمدة في تقدير اسعار البضائع من أجل أن يرتفع مجمل الرسم الجمركي ·

٣ ـ الاضافات الكيفية التي توضع بعد تقديم السعر وتصل الى ٢٠ و ٣٠٪ ·

٤ ـ عدم السماح ببناء دكاكين جديدة مما ادى الى غلاء الدكاكين السابقة وارتفاع اجارها ارتفاعا فاحشا · وهذا المنع في توسيع السوق يعطي اثرين في

وقت واحد فهو أولا ينفر الاهالي من التجارة وثانيا يرفع أسعار البضائع كتفاد للافلاس ويرهق التجار ٠

٥ ـ تغطية السوق بالعملة المحلية المقفلة مما يهدد مستقبل التجارة ويزعزع الاطمئنان في قلوب أصحابها ٠

٦ ـ انخفاض القدرة الشرائية لدى المستهلكين الناتجة عن الانخفاض الهائل في مستوى دخل الفرد مما يشل حركة التجارة ويهبط بمستوى الارباح ٠

## ب ـ الخنق في الزراعة

يمارس الخنق في هذا المجال بوسائل كثيرة اهمها :

١ ـ الضرائب الفاحشة على مكائن الماء والغلاء المضاعف في اسعار وقودها ٠ فالسلطة هي التي تحتكر بيع هذا الوقود وتفرض عليه الاسعار التي تريدها ٠

٢ ـ عدم السماح بتوريد الوقود من الخارج ٠

٣ ـ الضرائب المرتفعة على الارض حتى أصبح الكثير من الاراضي الزراعية لا تقدر على تغطية حتى تكاليفها ٠

٤ ـ عدم تنظيم اسواق خارجية للمنتجات الزراعية الرئيسية ٠

٥ ـ تحطيم السوق الداخلية عن طريق خفض القدرة الشرائية عند الاهالي ٠

## ج ـ الخنق في أعمال البحر :

١ ـ الضرائب المرتفعة على نزول البحر ٠

٢ ـ الضرائب المرتفعة على ادوات وسائل الصيد كالشباك والخيوط والقوارب وغيرها ٠

٣ ـ عدم تشجيع أو حتى السماح بادخال الوسائل الحديثة في الصيد ٠

٤ ـ عدم التشجيع على التيبيس والتمليح وتنظيم أسواق خارجية لها ٠

٥ ـ انخفاض القدرة الشرائية لدى المسهلكين ٠

## د ـ الخنق في الرعي والانتاج الحيواني

١ ـ الرفع الخيالي لاسعار (العيد) عن طريق رفع ضرائبها ورسومها الجمركية ٠ وغلاء العيد هنا هو الهدف في حد ذاته وما رفع الضريبة الا وسيلة الى تحقيق هذا الهدف ٠

٢ ـ السرقة التي تبتز باسم الزكاة ويستغل فيها اسم الدين كذبا واحتيالا ٠

٣ ـ استئثار السلطة باهم مصادر المياه الطبيعية وعدم الاهتمام بتنظيم بقية هذه المصادر ٠

## ٥ ـ الخنق في مجال العمل العمالي :

١ ـ الخصم الكيفي والغريب لاجور العمال والمستخدمين في المطار والذي يبلغ النصف او يزيد في بعض الحالات انها ضريبة (السخرة) التي عرفها ظلام العصور الوسطى في اوروبا موضوعة في ثوب جديد ٠ فهذا الاجراء شأنه شأن أكثر الاجراءات التعسفية الاخرى يحقق هدفين في آن واحد فهو من ناحية يضمن بقاء العمال عند مستوياتهم المادية الضنكة خدمة للسياسة الاقتصادية المذكورة آنفا ثم هو من ناحية اخرى يشكل مصدرا آخر للدخل يصب

في جيوب الحكام ويستغل عرق العمال وطاقتهم ابشع استغلال · ان الخصم من اجر اثنين من العمال فقط يكفي في الشهر لسد مرتب موظف يتقاضى سبعين ريالا ·

٢ ـ الضرائب الموضوعة على قصاصة الحجار وما يتعلق بها من اعمال البناء ·

٣ ـ الخصم التعسفي من أجور المشتغلين باعمال النقل البحري ·

٤ ـ جلب الموظفين والعمال الاجانب ورفع اجورهم عن العمال الوطنيين الذين من نفس المستوى خبرة وقدرة واخصاصهم بامتيازات أخرى كثيرة ·

كان هذا عن السياسة الاقتصاديةوناتي الان الى (الانتاج) ·

## ب ـ الانتاج وانعكاساته

الانتاج او (اسلوب الانتاج) كما يجمع علماء الاجتماع الثوريون هو القوة الاساسية التي تحدد هيئة المجتمع وطابع النظام الاجتماعي وهي التي تقرر تطوره من مرحلة حضارية الى أخرى فتاريخ المجتمعات البشرية على أساس هذا المفهو م هو تاريخ تطور الانتاج نفسه · وعندما تقال كلمة (الانتاج) و (اسلوب الانتاج) فان هذه الكلمة تحوي عنصرين رئيسيين : العنصر الاول قوى الانتاج وهذه بدورها تتفرع الى شيئين :

أ ـ ادوات الانتاج : من ادوات صناعة او ادوات زراعية او بحرية او منجمية او غيره كما تشمل الثروات الطبيعية · من ارض زراعية او معادن على شكل ابارا ومناجم معدنية ·

ب ـ اليد العاملة أو القوة البشرية التي تعمل على هذه الادوات المذكورة ·

العنصر الثاني : علاقات الانتاج وهي ما يختص بنوع الملكية وطبيعة العلاقة الاجتماعية القائمة بين العامل وصاحب الرأسمال او المالك والمستأجر او الدولة والعامل او الاقطاعي والفلاح (قن او عامل زراعي)·

والانتاج في هذا المجتمع او اسلوب الانتاج يتميز بثلاث صفات اساسية :

الصفة الاولى : اعتماده على وسائل انتاج بدائية ، متخلفة جدا وبسيطة ·

الصفة الثانية : محدوديته وانحصاره على اعمال الزراعة والبحر والرعي · 59

الصفة الثالثة : تخلف علاقات الانتاج وجورها

ويجب ان نشير هنا الى أن التخلف الكبير في قوى الانتاج نفسها (الالية والبشرية) جعل هذه العلاقات المتخلفة تبدو شبه منسجمة وشبه متطابقة مع قوى الانتاج ·

انعكاسات وتأثيرات الانتاج على حياة المجتمع ·

لو حاولنا أن نعلل ثبوت المجتمع على شكل واحد من السلطة السياسية طوال هذه السنوات وكذلك ثبوته على النظام القبلي المهتري وثبوته علىتقاليدهما ومفاهيمهما وقيمهما لو حاولنا أن نعلل ثبوته واستمراره على كل ذلك لوجدنا ان مرد هذا هو في ثبوته على قوى الانتاج نفسها بنفس المستويات

النوعية والكمية ٠ وكذلك بالنسبة لاستمرار ظـاهرة الرق والعبودية فهي تستند في بقائها الطويل هذا على دعامتين هما :

الدعامة الاولى والرئيسية هي التخلف الكبير والفظيع للانتاج ووسائله والتي تشبه الى حد كبير نفس الوسائل الانتاجية التي كان يعتمد عليها المجتمع الثاني ونقصد مجتمع الرق ٠ فالانسان المملوك (اي العبد) والذي شأنه شأن اية ملكية أخرى كان في نظام مجتمع الرق القديم يشكل الوسيلة الاولى والرئيسية للانتاج في المجتمع ٠

اما الظاهرة الثانية او الدعامة الثانية التي تستند عليها ظاهرة الرقيق فهي بقاء واستمرار النظام القبلي بعلاقاته البطرياركية (سلالات فخائذ) والـذي كـان يشكل اوضح والمع ظواهر وسمات المجتمع الرقـي ٠ هذا مع الاخذ بعين الاعتبار أن النظام القبلي نفسـه ما كان ليبقى ويستمر لو ان مستوى المعيشة فـي المجتمع ارتفع الى الحد الذي يسمح فيه بان يكون لغالبية الافراد دخلا معقولا يزرع الاطمئنان في نفوسهم ويضمن لهم حياة عائلية خاصة غنية الروابط والدعامات القبلية المصطنعة وهذا يعني بالنتيجـة أن بقاء مستوى الحياة المادية للمجتمع عنـد النقطـة التي هو عندها أو بالقرب منها شرط في بقاء النظـام القبلي نفسه يشكل بالمقابل احد الشروط الاساسية في استمرار بقايا نظام الرق ٠ وهذا بدوره يجرنـا الـى عدة استنتاجات بارزة أهمها أولا :

ان التقلص المطرد الذي نلمسه لبقايا نظام الرق نتيجة آلية وحتمية للتفسخ المطرد الذي ينخر في بنـاء الوضع القبلي ٠

**ثانيا** : أن التفسخ المطرد الذي نراه ينخر فـي الوضع القبلي نتيجة آلية وحتمية للتحسن النسبـي الذي طرأ على مستوى المعيشة للمجتمع وارتفاع القدرة الشرائية لدى الناس ارتفاعا نسبيا وهذا راجع في معظمه الى عامل استثنائي هو عامل الهجرة والمرور الخارجي (الاسفار)٠

ان الجمود أو (البطء) الكبير الملحوظ في حركة تطور هذا المجتمع راجع بالدرجة الاولى الى (خفة) أو (رخاوة) صراع المتناقضات ويأتي علـى راس هـذه المتناقضات بالطبع صراع القوى الاجتماعية الطبقية٠ باعتبار أن نضال المتناقضات يشكل دائما حركة ديناميكية وحركة كل واقع ٠

وهذه الرخاوة او الجمود في الصراع التناقضي لمجتمعنا هذا يمكن ارجاعها هي الاخرى وبكـل ثقـة الى الاسباب التالية :

١ ـ التطابق شبه الكامل بين قوى الانتاج المتخلفة وعلاقات الانتاج المتخلفة ٠

٢ ـ البطء الملحوظ في نمو الطبقات ان لم يكن جمودها ٠

٣ ـ قلة السكان وتبعثرهم في عدد كبيـر مـن المدن الصغيرة باعتبار أن صغر حجم التجمعات البشرية يؤدي حتما الى بهوت وعدم وضـوح فـي الفواصل الطبقية ٠ ان التجمعات الكبيرة للسكان تساعد أكثر على تجسيد وابراز التناقضات وبالتالي زيادة حده الصراع بينهما مما يشيع فيها الحـركـة ويعمل على التغيير باستمرار وخاصة فـي اساليـب الانتاج ٠

٤ – وأخيرا الاوضاع القبلية في هذا المجتمع بما تفرزه من صراع مشوه غير واقعي ومن فواصل وحواجز وهمية · أن الصراع الطبقي في ظل هذه الاوضاع يظل صراعا مائعا وجانبيا وتكون الفواصل الطبقية مغلقة بأغلفة ميتاميزيقية من (أخاء القبيلة) و(نصرة القبيلة) و(الثأر) وغيرها كما تفعل نفس الفعل الاوضاع الطائفية في حياة أي مجتمع ·

ان العمل المقصود أو غير المقصود من السلطة لاعاقة تطور قوى الانتاج من أدوات وأناس يعملون على هذه الادوات ومحاولة تجميد هذه القوى عند النقطة التي هي عندها هو اكبر مسبب لبقاء الوضع الاجتماعي والسياسي على ما هما عليه طوال هذه الفترة ، وذلك لان الانتاج بقواه الانتاجية وعلاقاته الاجتماعية هو الذي يحدد كما قلنا هيئة المجتمع وهو الذي يقرر انتقاله من نظام الى آخر ، وذلك لان التطور والتغير في قوى الانتاج تغيرا وتطورا ملموسين لابد ان يؤدي الى صهر النظام الاجتماعي والسياسي بعلاقاته ومؤسساته صهرا جديدا كما أن هذا يعني من ناحية أخرى أن تجميد الانتاج عند نقطة معينة يبعد من الافق وينسف أهم الاخطار التي تهدد الوضع القائم بالانفجار من الداخل · الا أن المعروف في الوقت نفسه ولحسن حظ الشعوب وطبقاتها الكادحة ان اسلوب الانتاج لا يمكن أن يقف مدة طويلة عند نقطة معينة فهو دائما في حالة نمو وانتقال وكلما تستطيع المحاولات المستميتة من قبل الطبقات المستغلة ان تفعله هو التخفيف من سرعة هذا الانتاج أو تجميده لبعض الوقت · أن مستوى قوى الانتاج الحالية في هذا البلد وطبيعة العلاقات الاجتماعية المنبثقة عنها تقيم منذ سنوات طويلة مصالحة أو انسجاما مع طبيعة النظام القائم ومؤسساته ومع مفاهيم وقيم المجتمع الحالية ومع تصنيفاته الفئوية والعشائرية والعرفية ، وذلك في نظرنا لان البناء الفوقي للمجتمع أي النظام السياسي والحقوقي والاخلاقي والقيم الافكار والتقاليد هذا البناء يقوم ويستند على بناء آخر تحتي هو البناء الاقتصادي لهذا المجتمع فما دام هذا البناء التحتي الاقتصادي والذي هو أسلوب الانتاج لم يتعرض لاية تحولات وتطورات اساسية فان البناء الفوقي المستند عليه يظل هو الاخر قائما دون ان يصاب بأي تغيير جذري ملموس ·

الا انه في السنوات الاخيرة وفي الستينات بالذات بدأ هذا الانسجام أو المصالحة تعاني من تصدعات وخدوش وهي بالرغم من كونها طفيفة وسطحية الا انها متطورة ، تحمل معها بذور التفاقم والانتشار · وتظهر التصدعات والخدوش هذه في شكل نقمة لا واعية أو مترددة أو في شكل ارتياب وفقدان تام للثقة في السلطة ·

ومرجع هذه الظاهرة في الاصل الى عوامل ومسببات يقف على رأسها ثلاثة :

العامل الاول : حدوث بعض التطورات والتغييرات البسيطة في قوى الانتاج وخاصة في مجال الزراعة والبحر مما عمل على دفع عجلة التناقض بين هذه الفوضى الانتاجية وبين علاقات الانتاج خطوة الى الامام ·

العامل الثاني : القفزة النوعية الملموسة في مستوى الوعي السياسي والاجتماعي التي حققها الشباب عن طريق الاسفار او اجهزة الراديو في الداخل بحيث خلق هذا الوضع مجتمعا تتجاوز فيه علاقات بربرية ومفاهيم القرون الوسطى مع احدث النزعات الاجتماعية والافكار السياسية .

العامل الثالث : تزايد التفكك القبلي والتدهور المستمر في المركز السياسي للقبائل ودورها في الحياة الاجتماعية يضاف اليه تقلص ظاهرة الرق وانحسارها المطرد عن حياة المجتمع .

ولاعطاء الامثلة عن دور الانتاج ودور الحياة المادية للمجتمع نذكر هنا التطور الآلي (الفني) طرأ على وسائل الانتاج الزراعي بادخال مكائن الماء الحديثة فهذه النقلة الصناعية في نوعية وسائل الانتاج الزراعي على بساطتها عكست آثارا سريعة وواضحة على الحياة العقلية والحقوقية والسياسية للمجتمع . فهي أولا ساعدت على اذابة وتفتيت جزء من بقايا نظام الرق باحلالها محل الانسان في جانب من الخدمات الزراعية فقللت بذلك كثيرا من الاهمية التي كانت معلقة على امتلاك انسان (العبد). ثم هي ثانيا عملت جذريا على تفاقم وتزايد مشكلة البطالة فأصبحت البئر (المزرعة ) اليوم لا تستوعب في الغالب أكثر من أربعة سواعد بعد أن كان في مقدورها ان تستوعب اكثر من هذا الرقم بكثير .

ثم هي ثالثا : عملت على تضخيم عبء الضرائب الجمركية وتشديد وطأتها على الاهالي اكثر واكثر عن طريق الضرائب الخيالية على المكائن وغياراتها بالاضافة الى الغلاء الفاحش في اسعار الوقود .

ثم هي رابعا : خلقت مشكلة زراعية نوعية جديدة بكشفها عن الملكيات الصغيرة للاراضي والتي لم تعد في مستوى القدرة على استيعاب الالة وتغطية تكاليفها نظرا لصغر مساحة هذه الاراضي بالاضافة الى ضعف خصوبتها نتيجة لقلة العناية الناتجة بدورها عن الجهل الزراعي وقلة الامكانيات .

هذه أهم وليست كل النتائج والاثار التي عكسها دخول هذه الالة الصغيرة في حقل الزراعة . ولنضرب مثلا افتراضيا آخر يدلل على صحة الكلام السابق عن دور الانتاج فلو اننا افترضنا اعتباطا أن السلطة الحالية شجعت أو سمحت بدخول الوسائل والادوات الحديثة الى مجال معيشي مثل مجال البحر والصيادة. فان النتيجة التاريخية والحتمية يمكن تسجيلها سلفا بكل اطمئنان وهي ان هذا المجال الانتاجي(مجال البحر) سوف يجذب اليه اعدادا كبيرة من الاهالي العاطلين وغير العاطلين وسوف تتضخم هذه الفئة نتيجة لذلك تضخما كبيرا وتنتقل بالتدريج نتيجة لهذا التضخم ولوحدة المصلحة والروابط التي ستزيدها الايام قوة ومتانة ، تنتقل من كونها فئة صغيرة الى أن تصبح طبقة متميزة متماسكة وفي حالة توقف الفئات الاخرى عن النمو ستشكل هذه الطبقة السائدة في المجتمع (ونقصد بالسائدة هنا الاكثر عددا تماسكا) وسيرتفع مستواها الاقتصادي والمعنوى ومن هذا كله ستبرز خطورتها المحدقة على النظام القائم وعلى (الطاعة العمياء) الناشرة سلطانها على دعائم الفقر والضعف والجوع ، وذلك لان الطبقة عندما تبلغ تلك الدرجة من القوة والتطور تدخل باعتبارها قوة منتجة متطورة في تناقض مع علاقات الانتاج المتخلفة القائمة بقصد تحطيم هذه العلاقة التي لم تعد من مستواها أو مطابقة لها ..

# مراسلة

## اضراب قطارة

قبيل فاتح مايو ، جاء هذا الاسم ـ قطارة ـ ليقدم للجماهير مثالا آخر للنضال « ولاد خليفة وقطارة » انطلاقا كرمز لتحرك الجماهير ولرفضها الاضطهاد والاستغلال ٠

تقع قطارة على بعد ٣٠ كلم شمال شرق مراكش في أراضي الجبيلات القاحلة ، ومنذ ١٠ سنوات أخت تكتسي أهمية كبرى كمنجم ، وهي تسد كل حاجيات ماروك شيمي « المغرب كيميا » بآسفي وذلك فيما يخص معدن البيروطين الذي يستعمل لصنع حامض الفسفور وهي تستغل من طرف مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية وهو جهاز للدولة ٠

ويوجد في قطارة ٤٠٠ عامل يعيشون في ظروف تتحدى الضمانات القانونية التي حققتها البروليتاريا المعدنية بعد الاستقلال ٠ فيعملون كمستخدمين باليوم، وهذا ينزع لهم حق التقاعد ويبقون رهن اشارة الاضطهاد الذي يمارسه أرباب العمل ٠ فأجرتهم تبلغ ٦ دراهم في اليوم بيد أن الحد الادنى للاجرة القانونية يساوي ٨ر٢٥ درهم في مراكش ٠ وان العمال الذين ينزلون الى قعر المنجم ، يمارسون مهنة صعبة ودقيقة، وهذا يسمح لهم قانونيا بالاحراز على درجة ٣ الى ٥ من قانون العامل في المنجم ، أي باجرة تنطلق من ١٠ درهم بغض النظر عن المكافئات٠

ان عمال المنجم معرضون لمرض السيلكوز الذي يلحق الرئتين ، وقانونيا يجب أن يكونوا محميين من هذا الداء ٠ ففي قطارة لا تمارس أية وقاية صحية والعمال المرضى يعتبرون مصابين بالسل ، وحين ينزل العمال الى المنجم يستغل رئيس المصلحة أو القسم أساليب منحطة أخلاقيا مع زوجاتهم ٠

وقد قرر العمال رفض هذه الوضعية وبدأوا منذ ١١ مارس يطالبون بحقوقهم عبر اضرابات محدودة توجت باضراب دام ٤٨ ساعة يومي الجمعة والسبت ١٦ و ١٧ أبريل ٠

وفي يوم الاثنين ١٩ صباحا صدر قرار اعفاء ٧ مسؤولين نقابيين ومفوضين رغم أن القانون يمنع هذا التصرف ، وكان للعمال رد فعل ٠٠ ففي الساعة ٢ زوالا (الوقت الذي يقع فيه ابدال فرقة بأخرى) قررت فرقة الصباح أن تبقى في القعر حتى يقع ارجاع السبعة المطرودين ،والتحقت فرقة ما بعد الظهر بالفرقة الاخرى حتى أصبح عدد المعتصمين بالقعر ١٠٩ من العمال ٠

وأرسل القائد أربع سيارات ثقيلة للمخزنية كي تحاصر أبواب المنجم ، مانعا عائلات العمال ورفاقهم من القيام بأية مساعدة ٠

وبقيت الحالة هكذا يومين ، وهدد العمال باستعمال ١٥ قنطار من المتفجرات يستعملونها عادة في العمل كي يخرج المخزنية ، وفي نفس الوقت اطلقوا التيار الكهربائي على كل منافذ المنجم ٠

وهكذا تراجع الحكم ، فأمر المخزنية بالانسجاب ٠ في هذا اليوم ، الاربعاء ٢١ أبريل أذيع على أجهزته اندعائية بلاغات كاذبة تتكلم عن أعمال تخريبية ٠

ولكن العمال بقواني موقف قوة ، وبدأ التضامن فقد قام ٣٠٠ عامل بتجهيز رفاقهم وعائلاتهم ، وقد أعطى التجار الصغار بقطارة قرضا لا بأس به للجنة الاضراب :

ومن مراكش سافر عدد من التلاميذ والعمال المناضلين الى قطارة كي يعبروا عن تضامنهم ٠ فعمال مراكش يساعدون عمال قطارة ، وعمال خريبكة واليوسفية يوجهون الى رفاقهم عبر المواصلات البريدية تضامنهم ٠

وان المسؤول النقابي بمراكش قد حاول التراجع عن الاضراب أو الاقناع ببعض التنازلات ، ولكن العمال رفضوا كل نقاش في هذه النقطة ويطالبون بصرامة بارجاع كل رفاقهم مستعملين الهاتف لابلاغ مطالبهم ٠

أما الاتحاد العام للشغالين بالمغرب » فان قناعه قد انكشف ، وقد جاء مسؤول هذه « النقابة » من مراكش يطالب الادارة بمكتب ، فأفرغت قاعة الدرس لارضائه ٠

واستمر النضال حتى ٣٠ أبريل ، وفي هذا اليوم بعد الزوال بلغت الادارة العمال بان رفاقهم سيقع ارجاعهم وبان كل مطالبهم مقبولة ، ففي الساعة الواحدة صباحا ، وصلتهم لائحة تحمل اسماء رفاقهم المطرودين ، فطلع الـ ١٠٩ عاملا الى السطع والتقوا في فرح برفاقهم الـ ٣٠٠ والتقوا كذلك في نفس الجو بعائلاتهم واطفالهم ٠

فمعهم سيشاركون بمراكش في مظاهرة الطبقة العاملة ٠

ج٠م٠ مراكش





● خطوة متواضعة على طريق مجهود نظري كبير مطروح كمسؤولية ملحة على كل مثقف متشبع بروح تقدمية وثابة نحو ثقافة جديدة ٠

● خطوة على طريق فك الحصار الثقافي الامبريالي - الرجعي وصد الهجوم الكثيف الذي تمارسه قوى الاستغلال والتضليل بدون هوادة ٠

● مبادرة تدعو لفتح النقاش الجدي والمجدي بين المثقفين العرب حول القضايا العربية الجسيمة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي ٠

● مجهود مخلص يرمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ، وطرح القضايا الاساسية لبلادنا على بساط الدرس والتحليل ، وازاحة هيمنة الفكر البرجوازي على الساحة الوطنية ٠

ذلك ما تصبو اليه مجلة «انفاس» بطموح كبير وتواضع اكبر :

- فمن أجل دعم الثورة الفلسطينية والتعريف بقضاياها الحيوية بمنظار تقدمي علمي ،

- ومن أجل توضيح الرؤية حول قضية تحرير الامة العربية وحول حركة التحرير العالمية عامة بكل مسؤولية وصراحة ،

ومن أجل ملء الفراغ الكبير في حقل الثقافة التقدمية ببلادنا ،

ومن أجل ثقافة جديدة وفكر ملتزم ،

ننادي كل المثقفين الواعين الغيورين لمساندة « انفاس » والمساهمة في مجهودها بابحاثهم وانتقاداتهم ،

وننادي كل الشباب الواعي المتطلع لفكر جديد ليتتبع باطراد مجلة « انفاس » ويدعمها بآرائه وانتقاداته ٠

Imp. TOUMI — RABAT